مجموعة الدكتور أسد رستم

٢٦

مخطوطات البحر الميت

وجماعة قمران

الدكتور أسد رستم

مؤرخ الكرسي الأنطاكي

منشورات المكتبة البولسية

مجموعة الدكتور أسد رستم

تقوم المكتبة البولسيّة بإعادة طبع المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور أسد رستم التاريخيّة والدينيّة والثقافيّة، باللغتين العربيّة والإنكليزيّة. وقد ظهر منها حتى الآن:

- أسد رستم، الإنسان والمؤرّخ (محاضرات الندوة)
- ١ – مصطلح التاريخ
- ٢ – تاريخ لبنان في عهد الأمراء الشهابيّين (١)
- ٣ – تاريخ لبنان في عهد الأمراء الشهابيّين (٢)
- ٤ – تاريخ لبنان في عهد الأمراء الشهابيّين (٣)
- ٥ – لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني
- ٦ – بشير بين السلطان والعزيز (جزءان)
- ٧ – حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والأناضول
- ٨ – منتخبات من «الجواب على اقتراح الأحباب»
- ٩ – لبنان في عهد المتصرفيّة
- ١٠ – المحفوظات الملكيّة المصريّة: بيان بوثائق الشام (١)
- ١١ – المحفوظات الملكيّة المصريّة: بيان بوثائق الشام (٢)
- ١٢ – المحفوظات الملكيّة المصريّة: بيان بوثائق الشام (٣)
- ١٣ – المحفوظات الملكيّة المصريّة: بيان بوثائق الشام (٤)
- ١٤ – فهرس المحفوظات الملكيّة المصريّة
- ١٥ – الأصول العربيّة لتاريخ سوريّة في عهد محمد علي باشا (١)
- ١٦ – الأصول العربيّة لتاريخ سوريّة في عهد محمد علي باشا (٢)
- ١٧ – الأصول العربيّة لتاريخ سوريّة في عهد محمد علي باشا (٣ و٤)
- ١٨ – الأصول العربيّة لتاريخ سوريّة في عهد محمد علي باشا (٥)
- ١٩ – فهرس المجلّدات الخمسة من الأصول العربيّة لتاريخ سوريّة... وضعه الدكتور وسام بشاره كبكب
- ٢٠ – كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى (١)
- ٢١ – كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى (٢)
- ٢٢ – كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى (٣)
- ٢٣ – الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصِلاتهم بالعرب (١)
- ٢٤ – الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصِلاتهم بالعرب (٢)
- ٢٥ – آباء الكنيسة (١ و٢)
- ٢٦ – مخطوطات البحر الميّت وجماعة قمران

مخطوطات البحر الميت

وجماعة قمران

الطبعة الأولى ظهرت عام ١٩٥٩
في «هدايا المسرّة»

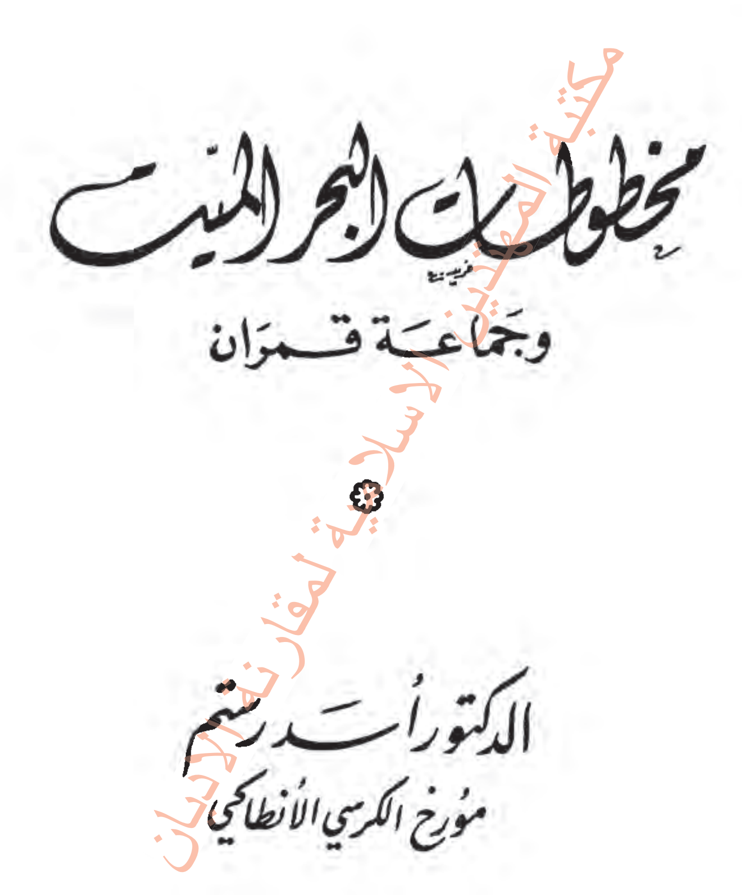
•

طبعة ثانية منقحة ومفهرسة
١٩٩٠

•

منشورات المكتبة البولسيّة
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩-١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥٠ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢

مجموعة
الدكتور
أسد رستم
٢٦



منشورات المكتبة البولسية



الفهرس العام

مقدّمة

لا اذكر تماماً متى بدأ اهتمامي بنصوص العهد القديم . ولكني اذكر انني عندما قرأت نص الذيالوغوس الذي دار في القرن الثاني بين القديس يوستينوس الشهيد وبين تريفون اليهودي في افسس لفت نظري ادعاء تريفون ان الآباء بدّلوا في نصوص العهد القديم لاثبات ما ذهبوا اليه . وكنت اكتفي آنئذٍ بالقول ان الكلمة المتجسد لم يكن في اي وقت من الاوقات بحاجة الى التبديل في النصوص لاثبات رسالته ، وانه لا بد ان يكون اليهود قد قرأوا النصوص نفسها التي أشار اليها السيد وقرأها الرسل ورسل الرسل والآباء . ولا يخفى ان اقدم النسخ العبرية كانت آنئذٍ لا تزال من مخلّفات القرن العاشر ، وان بَرديّة ناش وما شاكلها التي عادت الى ما قبل الميلاد كانت نُتفاً صغيرة من النصوص لا يجوز الاعتماد عليها كثيراً . واما الترجمات اليونانية واللاتينية كالكودكس السينائي والكودكس الفاتيكاني فانها ترجمات مسيحية لا تفيد في البت في امر التبديل وهي متأخرة نسبياً لا تعود الى ما قبل القرن الرابع بعد الميلاد . اما الآن وقد وجدنا « مكتبة » دينية عبرية كاملة تعود الى القرنين الاخيرين قبل الميلاد ، والقرنين الاولين بعد الميلاد ، بفضل ما كشفه العلماء في جوار البحر الميت ، فاننا أصبحنا اقرب بكثير الى البت في أمر التبديل مما كنّا عليه بالأمس

ولكن ما كاد العلماء ينفضون الغبار عن دروج هذه المكتبة ويبدأون بقراءة نصوصها ويطلعون على تراث اليهود الذين عاصروا السيد والرسل حتى اطلق بعض المتسرّعين العنان لانفسهم فركبوا سجيّة رؤوسهم واختاروا لانفسهم ما وافق فلسفتهم المادية او ما طلبوا من شهرة مستعجلة . فقالوا انه كان لاصحاب هذه الدروج « معلم صالح » وان هذا المعلم قاسى الصلب ومات وقام من بين الاموات ، وانه ليس من جديد في سيرة المسيح !! وتاه مع هؤلاء في شعاب الباطل بعض التجار من رجال الصحف والنشر فزيّنوا وزوّقوا ابتغاء البيع والربح . وافتروا على علماء الكنيسة ،

واتهموهم بالجبن والخوف ، وقالوا ان بضاعة هؤلاء كالثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر ! ولكن العلماء من رجال الكنيسة ، ولاسيا آباء مدرسة علوم الكتاب في المدينة المقدسة ، لم يعبأوا بشيء من هذا بل شمروا عن ساعد الجد واشتركوا في اعمال الكشف وفي اثبات النصوص المكشوفة واتقين جريئين .

وتكاثرت الكتب والمصنفات في موضوع دروج البحر الميت حتى بلغت في عشر سنوات (١٩٤٨ – ١٩٥٨) ثلاثة آلاف او اكثر . وظهرت في جميع لغات الغرب ولكنّ شيئاً من نوعها لم يظهر بالعربية قبل السنة ١٩٥٧ . ومع اننا لا ننكر على القس جايمس ولبي والسيد ابراهيم مطر والدكتور انيس فريحة فضلهم في الكراس الذي نشروه في هذه السنة عينها عن « مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران » فاننا لم نجد فيه ما يروي ظمأ المؤمن والعالم في آنٍ واحد

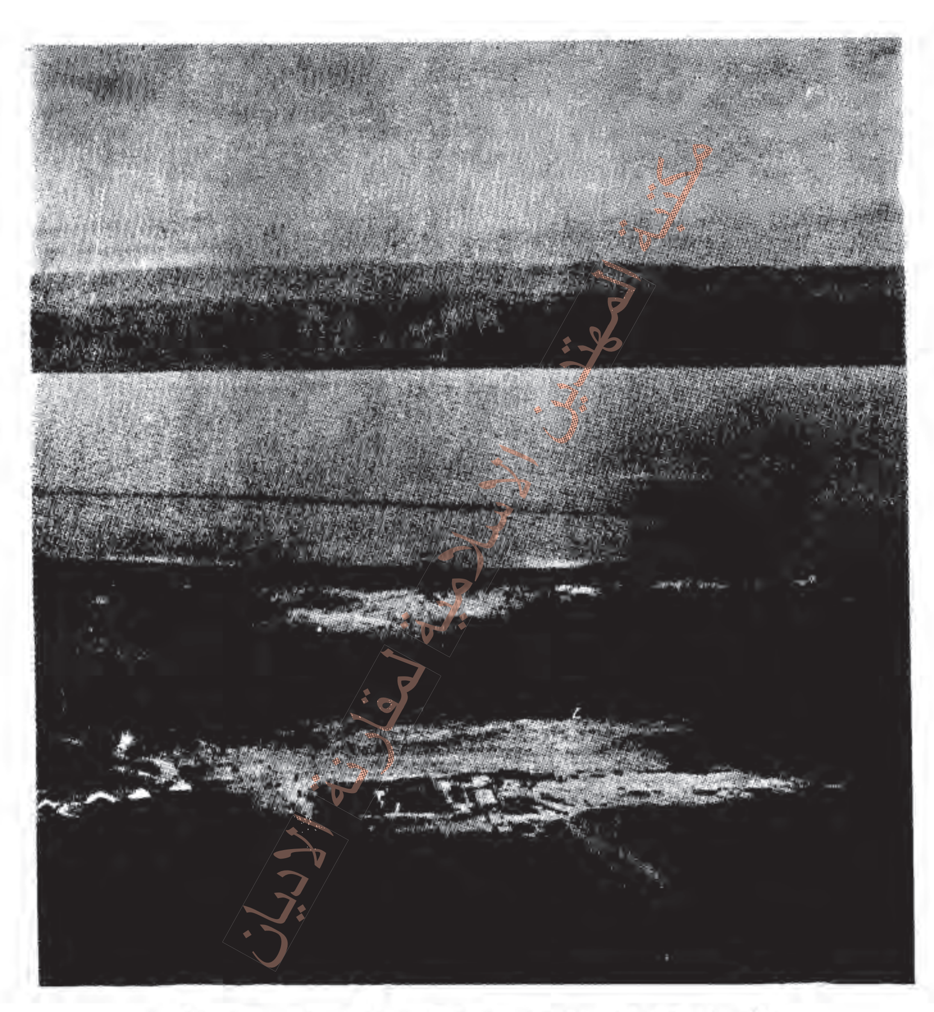
وكان صديقنا العلامة الاب جورج فاخوري البولسي ، مدير مجلة « المسرة » يرقب هذا الامر نفسه فلا يغفله طرفة عين ويحصي على رجال الالحاد أنفاسهم ويتتبع عثراتهم ، فشجّعنا على كتابة هذه الرسالة وتبرع بنشرها هدية لقراء المسرة فشكرنا له وللرهبانية البولسية يقظتهم ، واشتركنا معهم في ذكر يوستينوس الفيلسوف الشهيد ممجدين معه ، بعد الف وثماني مئة سنة ، المسيح الذي لا يموت ملكنا والهنا ، مؤكدين ان تريفون واعقابه اليوم كان ولا يزالون على ضلال مبين

بيروت ، في عيد القديس يوحنا الدمشقي ، ٤ من كانون الاول ١٩٥٩

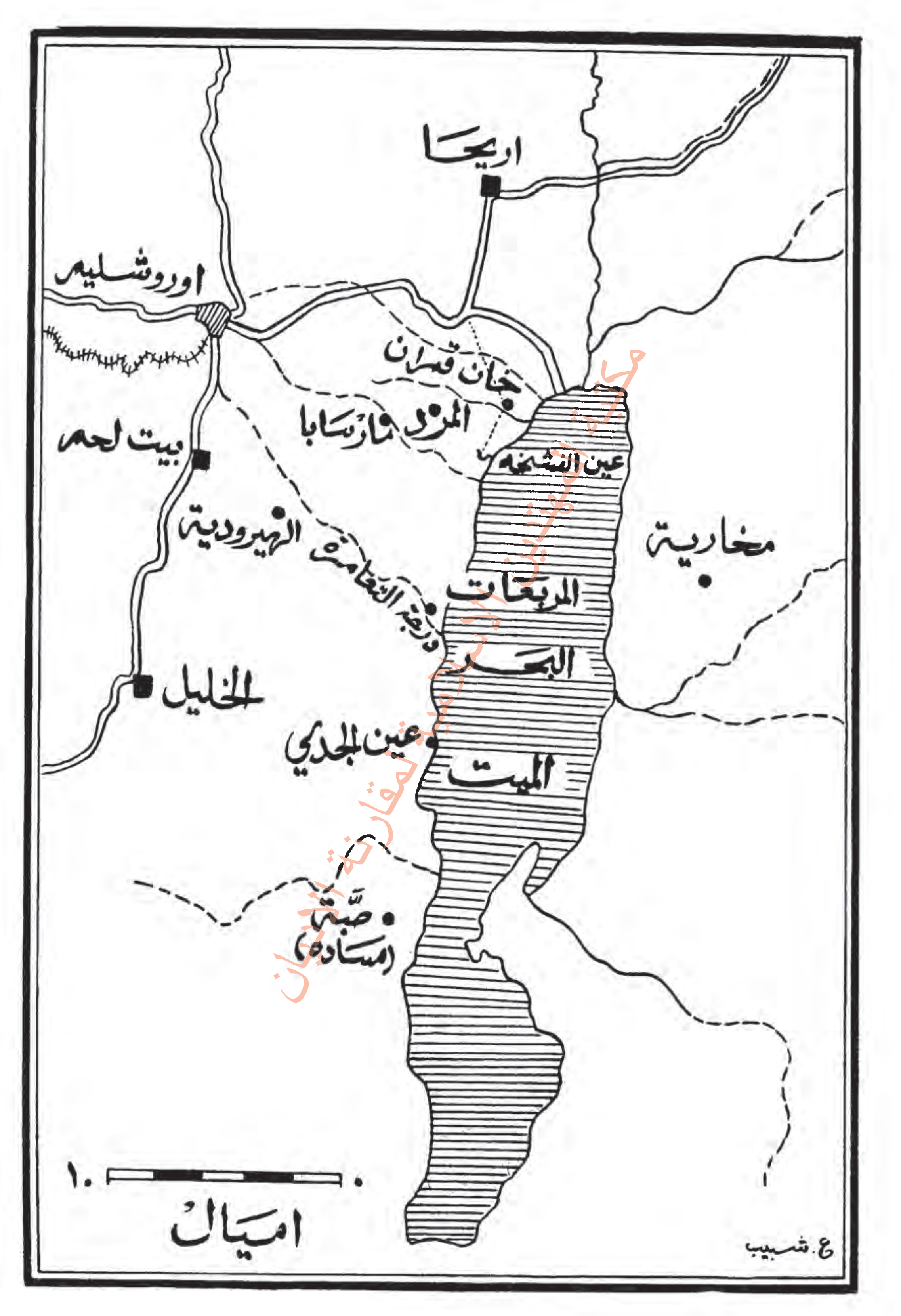
اسد رستم



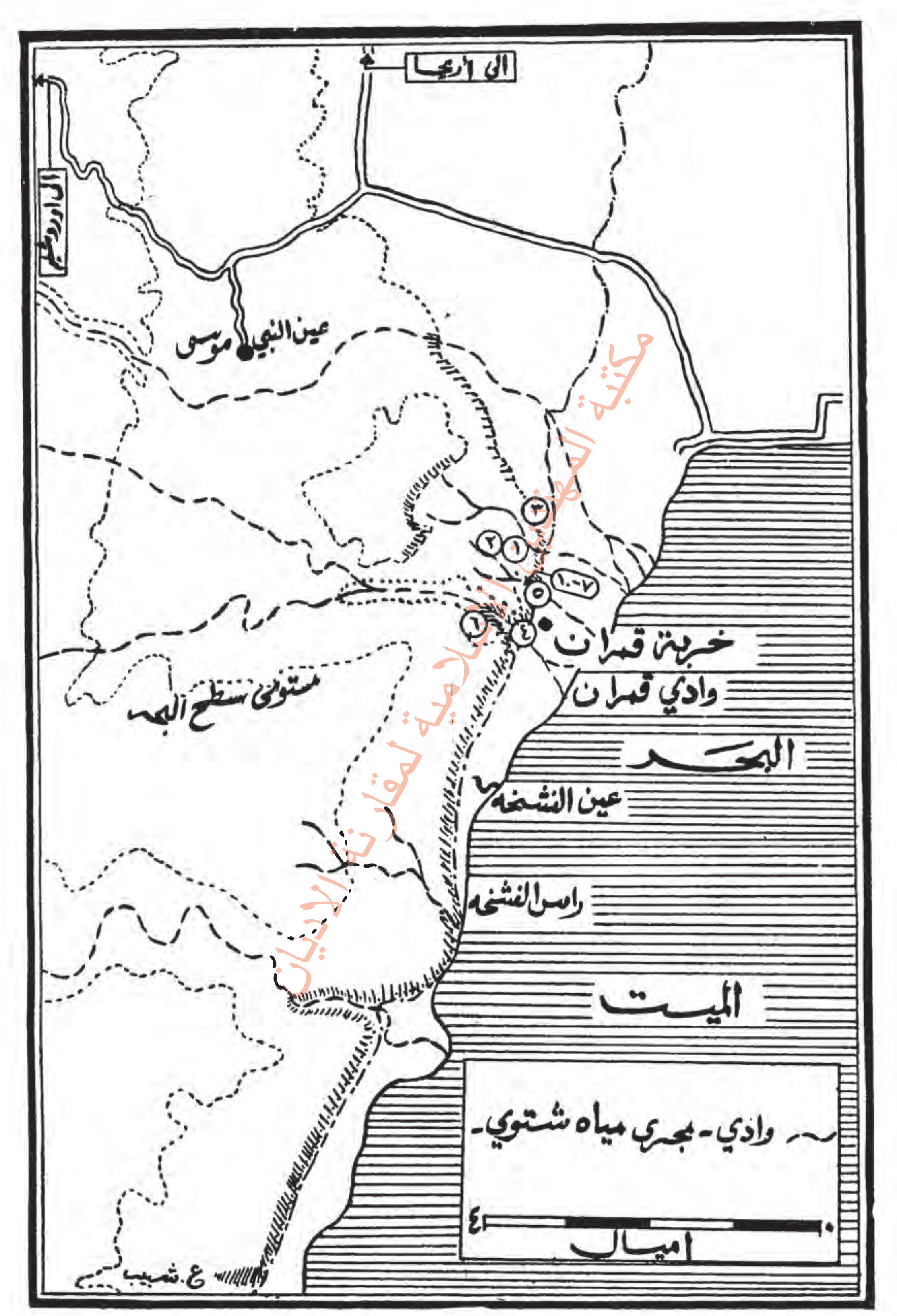
فريق من العلماء من رجال الدين والدنيا اجتمعوا من بلدان متعدّدة
للبحث في مخطوطات وادي القمران
(في متحف القدس)



منظر عام للخرائب يُرى بعدها البحر الميت ثم جبال مؤاب



اريحا
اوروشليم
خان قمران
المزد
مار سابا
بيت لحم
عين الفشخه
الهيرودية
مغارية
وادي الثعامرة
المربعات
البحر
الميت
الخليل
عين الجدي
صبّة
(مسادة)
١٠
٠
اميال
ع. شبيب


الى أريحا
الى اورشليم
عين النبي موسى
مستوى سطح البحر
خربة قمران
وادي قمران
البحر
عين الفشخة
راس الفشخة
الميت
وادي - مجرى مياه شتوي
٠
٤
اميال
ع. شبيب

الفصْل الأوّل

الاستكشاف والكشف

محمد الذيب وقطيعه

نحن في ربيع السنة ١٩٤٧ ، عند شاطىء البحر الميت الغربي وفي المكان الذي ينتهي او يبدأ فيه وادي قمران ، وعلى بعد كيلومترين ونصف الكيلومتر عن مياه البحر الميت . وأريحا ليست بعيدة عنا فهي الى شمالينا ، والمسافة بيننا وبينها لا تتجاوز الاثني عشر كيلومتراً

وقد جاء شاب ينتمي الى عشيرة التعامرة الضاربة بين البحر الميت وبيت لحم ، اسمه محمد الذيب ، يرعى قطيعاً من المعزى . والمعزى عندنا نفور كثير الحركة ، يأبى الحبس في الزرائب ويؤثر الانفراد في طلب الكلأ . وشردت ماعزة وتباعدت وتسلقت الصخور في طلب العشب الرطب ؛ فتأثرها ذيبنا خشية التطوّح والهلاك ، وتسلق الصخور لأجلها . ولهث إعياء فجلس يستريح في ظلّ احد الصخور الناتئة . والتفت يمنة ً ويسرة فألفى فوّهة فوق رأسه ، فالتقط حجراً وقذف به الى الداخل وأصغى فاذا به يسمع خزفاً يتكسّر ! فلاح له انه رزق حسن يرجه بلا كد او تعب . فأعاد الكرة فسمع الصوت نفسه . فأمسك بحافة الفوّهة بأطراف اصابعه وأطلّ بنفسه الى الداخل فإذا هو امام كهف مملوء جراراً !

ومالت الشمس نحو المغيب فعاد الذيب والماعزة الى القطيع . وعاد القطيع الى الحظيرة ، وعاد محمد في المساء الى الاهل والخلان ؛ وتحدث اليهم عما شاهد في الكهف فلم يصدّقوه . وفي الصباح التالي جاء احدهم يقول لمحمد أرني ما رأيت . فذهبا توّاً الى الكهف ودخلا اليه فوجدا فيه عدداً من الجرار سالمة ، وعدداً كبيراً منها مكسّراً فكشفا عن السالم منها فإذا بعضه فارغ والبعض الآخر يحتوي على دروج من الرقّ ،

وبعض هذه مغلف بقماش من الكتان قديم[١]. والدَّرج قرطاس طويـــل يُكتب فيه ويُلف.

وأخذا بعض هذه الدروج، وصعدا بها إلى بيت لحم وعرضاها على احد اشياخها. فوجدها غير عربية فاشار عليهما ان يعرضاها على المعلم اسكندر خليل تاجر العاديات في بيت لحم. فابتاعها « كندو » منهما وأبقاها في حانوته زمناً يسيراً. ثم أخـذها الى القدس وأطلع عليها احد افراد ملّته – ملة السريان القـدماء – المعلم جرجس شعيا. فأشار هـذا بالاتصال بمطران الطائفة اثناسيوس يشوع صموئيل في دير مار مرقس في



المطران صموئيل ينشر درْجاً

شارع النبي داود. والدير قائم، في عرف السريان، في المحل نفسه الذي قام فيه « بيت مريم ام يوحنا الملقب مرقس » حيث كان الرسل والمؤمنون يجتمعون ليصلّوا بعد القيامة

حمل كندو درجاً كبيراً وذهب ورفيقه جرجس وعرضه على المطران صموئيل. فألفاه المطران مكتوباً بالعبرية. وبعد ان احرق قطعة صغيرة منه ثبت له ان الدرج مكتوب على رق فقال انه يبتاع الدرج وغيره من نوعه. وفي السبت الاول من تموز

(١) *Brownlee, W. H.* : Muhammad ed-Deeb's Story of His Own Discovery, J. N. E. S., 1957, 236-239.

عاد التعامرة الى بيت لحم ليبيعوا منتجات قطعانهم، وعاد معهم اصحاب الدروج فهتف كندو الى المطران في دير مار مرقس ينبئه بقدومهم وبوصول دروج جديدة . فأجاب المطران : ارسلهم . فلما وصلوا الى الدير لم يُسمح لهم بالدخول فعادوا الى بيت لحم ومنها الى مضاربهم ... ويرى بعض رجال الاطلاع ان التعامرة باعوا دروجهم هذه او بعضها، قبل خروجهم من بيت المقدس، الى تاجر عاديات يهودي فاستقرَّت في الجامعة العبرية

وبعد ذلك بمدَّة يسيرة عاد التعامرة الى سوق السبت في بيت لحم . فاقتادهم كندو الى بيت المقدس واتصل بجرجس، وذهب الجميع الى الدير وقابلوا المطران فابتاع منهم دروجاً خمسة بمبلغ يعادل مئة وخمسين دولاراً اميركياً . ونزل جرجس الى وادي قمران وزار الكهف ؛ ونزل بعده الاب يوسف احد رهبان دير مار مرقس وشاهد جرَّة سليمة قائمة ولكنه لم ينقلها الى الدير نظراً لوزنها وصعوبة المسلك وحرارة الجو . وشاور المطرانُ في أمر هذه الدروج من رأى فيهم الاستعداد للبتّ في امرها فاعتبرها احد موظفي دائرة الآثار الفلسطينية، اسطفان اسطفان، مزوَّرة لا قيمة لها . اما الاب فان در بلويغ van der Ploeg الهولندي فإنه رأى في احد هذه الدروج نص نبوَّة اشعيا . وفي اوائل ايلول اخرج المطران الدروج الى سورية، وأمَّ حمص المقرَّ البطريركي السرياني فأشار عليه البطريرك بعرضها على أستاذ اللغات السامية في جامعة بيروت الاميركية . فاتجه المطران شطر بيروت ولكن الدكتور انيس فريحه كان لا يزال في مصيفه . فعاد المطران صموئيل الى القدس وعاد اليها من الولايات المتحدة الدكتور سوكينيك Sukenik استاذ الآثار في الجامعة العبرية . وما كاد يعلم هذا بما جرى في اثناء غيابه حتى تيقظ للأمر ؛ وعُرضت عليه بضعة دروج وجرَّتان فابتاعها للجامعة العبرية

وفي ذلك اليوم نفسه اتخذت هيئة الامم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين فاضطرب حبل الامن في البلاد . وتطوَّرت الاحوال من سيئ الى أسوأ . وبدأت المواصلات تتعذر في القدس نفسها . فاحتار المطران في امره . ولكن سريانياً آخر، كيراز، هبَّ لمعونة المطران فأطلع الدكتور سوكينيك على درج نبوَّة اشعيا . وكان سوكينيك آنئذٍ واحداً من شرذمة ضئيلة من العلماء الذين يُرجع اليهم في الكتابات العبرية القديمة . وكان قد عُني مدة من الزمن في درس اسماء الموتى التي وردت على توابيت اليهود في

اوائل النصرانية في فلسطين . وما ان اطلع على خط الدروج المكشوفة حتى تيقن انها تعود الى حوالي بدء التاريخ المسيحي . ولكن اكتشافه هذا جاء في اثناء الاضطرابات الدامية فلم يجدِ نفعاً من حيث التيقظ والسعي لانقاذ هذه الآثار من يد العابثين

وفي شهر شباط من السنة ١٩٤٨ حاول المطران صموئيل الاتصال برجال المدرسة الاميركية للبحث والتنقيب في القـــدس ليأخذ رأيهم في ما لديه من المخطوطات . وكان مديرها العــــام لتلك السنة الاستاذ ميلر بورور Millar Burrows غائباً في بغداد . فنظر في امر الدروج المعروضة احدُ المقيمين المساعدين ، الدكتور يوحنا تريفر John Trever . وكان لحسن الحظ حديث العهد في البحث والتنقيب فلم يعبه شك الخبراء المتقدمين في السن . وكان لديه نسخ فوتوغرافية عن بردية ناش Nassh ، اقدم الآثار الخطية العبرية التي يعود عهدها الى القرنين الاخيرين قبل الميلاد . فلمس تشابهاً شديداً في الخط بين دروج المطران وبين هـذه البردية ! فصوّر بعض مقاطع من درج نبوّة اشعيا وارسلها الى الدكتور وليم اولبرايت Albright ، احدِ رجال الاختصاص في آثار فلسطين في الولايات المتحدة . فاجاب اولبرايت ، في الخامس عشر من آذار السنة نفسها ، ان ما شاهد من الدروج هو اقدم من بردية ناش . فدخل بذلك درس هـذه الدروج في دور جديد

مطاردة في اليهودية

وتنسمت مديرية الآثار الفلسطينية وقائع هذه الدروج ، وعلمت بمـــا قاله فيها سوكونيك وآلبرايت فراحت تسعى بدورها للتعرف بالمكان الذي وُجدت فيه الدروج وبالاشخاص الذين عثروا عليها واتجروا بها . وكانت الأزمة السياسية وما رافقهـا من اضطرابات تشتد وتتحرج . وانسحب البريطانيون من البلاد وانهوا الانتداب عليها فضاعت هيبة الحكم ، وقل نفوذ مديرية الآثار وكاد معينها ينضب . وبالرغم من هذا كله فان المدير الانكليزي جورج هاردنغ Harding الذي كان لا يزال في منصبه ، بذل مع معاونيه جهوداً جبّارة للقيام بالواجب الاداري والعلمي . وفي اوائل السنة ١٩٤٩ تعرفوا « بكندو » في بيت لحم وابتاعوا منه ما تبقى لديه من فتات الدروج بمعدل ليرة انكليزية عن كل سنتيمتر مربع . فقبض كندو في صفقة واحدة الف ليرة انكليزية . وشاع آنئذٍ ان المطران صموئيل الذي كان قد حمل الدروج الى الولايات المتحدة يتطلب مليوناً من الدولارات مقابل ما حمل !

وأوفدت هيئة الامم المتحدة لجنة لمراقبة سير الامور في فلسطين فكان بين اعضائها نقيب بلجيكي اسمه فيليب ليبنس Lippens . وكان هذا النقيب قد درس في معهد العلوم الشرقية في جامعة لوفان قبل التحاقه بالجيش ، فصمم ان يغتنم فرصة وجوده في فلسطين ليخدم العلم في قضية مخطوطات البحر الميت . فاتصل باللواء أشتون في جيش الاردن واستعان بالانفار البدو وغيرهم للتعرف بالضبط بالمكان الذي وجد فيه محمد الذيب دروجه. فتم له ذلك في ايام معدودة . وتيسر لمديرية الآثار وللعلماء الوقوف على تفاصيل الكشف عن هذا المخبا والتثبت من صحة قدمه



السمسار كندو

وقامت في شهر كانون الثاني من السنة ١٩٤٩ لجنة رسمية مؤلفة من مدير الآثار ومن رئيس معهد ابحاث الكتاب المقدس الدومينيكي في القدس ، الاب دي فو R. de Vaux ، وغيرهما . وما ان أطلّوا على الكهف حتى إسفوا لما شاهدوه من آثار العبث والتخريب اللذين قام بهما التعامرة ورسل المطران وعملاؤه ! فإن هؤلاء كانوا قد شقوا مدخلًا جديداً للكهف ونشروا ترابه في كل مكان ، والقوا الى الخارج بكل ما نبذوا ! وأكبّ العلماء على التفتيش عما تبقى فجمعوا الف قُطَيعة من الرق والبردي وكميات من فتاتت الخزف ، وسراجاً رومانياً ، و « لفافة » سجاير ، وقطعاً من الكتّان الذي كان قد استُعمل في لفّ الدروج لوقايتها . وتبين بعدئذ ان لفافة السجاير كانت لجبرا احد رجال المطران ، فتيقن العلماء أن دروج المطران تمتّ بصلة الى هذا الكهف عينه

وبينما كان رجال العلم يسعون للتثبّت مما جرى كان التعامرة يفتّشون عن كهوف اخرى لعلهم يغنمون بشيء جديد . وكانوا يعرفون « برية اليهودية » معرفة تامة لانتشارهم


نموذج من الجرار
التي وجدت فيها الدروج

في وديانها ومنعطفاتها يوماً بعد يوم في طلب الكلأ لماشية . فكشفوا مخبأ في خربة المرد في وادي المربّعات بعيداً عن الكهف الاول الى الجنوب . ثم كشفوا كهفاً آخر بالقرب من الكهف الاول . وظل التعامرة سبّاقين في غالب الاحيان ، وظلّ العلماء مدة من الزمن لاحقين متأخرين متهافتين ، يشترون ما يجده التعامرة . ولكنهم ثابروا على التفتيش ، وساروا به سيراً علمياً منتظماً ؛ فكشفوا بدورهم كهوفاً اخرى . وعند السنة ١٩٥٦ بلغ عدد كهوف المخطوطات المكشوفة في ساحل خربة قمران وحدها احد عشر كهفاً، وغير واحد في وادي المربعات، وخربة المرد

كهوف قمران ومحتوياتها

وقد رقم العلماء هذه الكهوف تسهيلاً لتعيينها . فالكهفان الاول والثاني يقعان في الصخور بين وادي الدابير ووادي غوفات زبين . وقد وُجد في الكهف الاول درج كامل لنبوءة اشعيا ، وشرح على حبقوق ونظام جماعة قمران . وقد عني بنشرها جميعها ، بين السنة ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، اساتذة المعهد الاميركي للأبحاث الشرقية[١] . ووُجد ايضاً في هذا الكهف نفسه درج نظام الحرب المعروفة بحرب ابناء النور ضد ابناء الظلمة ، ومجموعة من الترانيم ، وشيء من نبوءة اشعيا . وقد أعدّها جميعها للنشر الدكتور سوكنيك Sukenik الاستاذ في الجامعة العبرية ، فنُشرت بعد وفاته في السنة ١٩٥٥[٢] . ومن محفوظات هذا

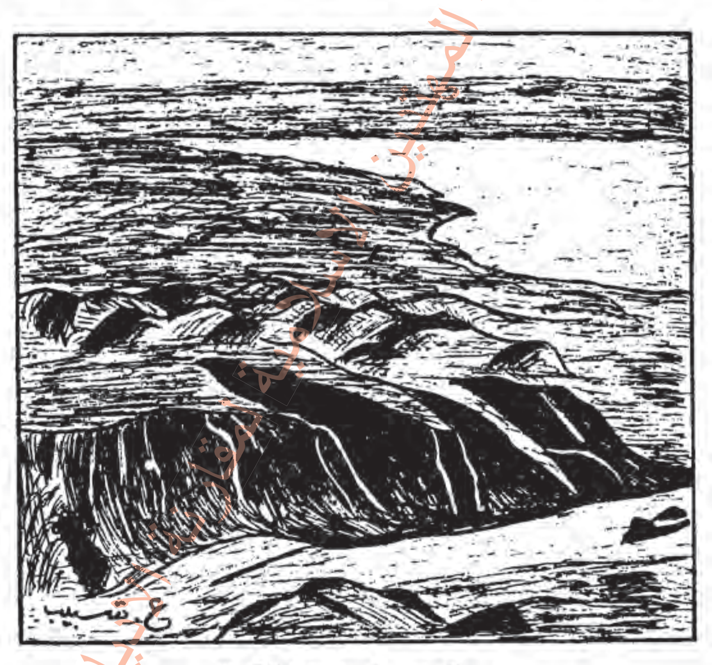
---

(١) *Burrows, M.* : With the Assistance of Trever, J. C. and *Brownlee, W. H* : The Dead Sea Scrolls of St. Mark's Monastery, 2 vols., New Haven, 1950-1951.

(٢) *Sukenik, E.* : The Dead Sea Scrolls of the Hebrew University, Jerusalem, 1955.

الكهف ايضاً شرح بالآرامية لفصول سفر التكوين الخمس عشرة الاولى وهو مخروم بال ؛ وقد بدأ بنشره الاستاذان أفيجاد Avigad ويادين Yadin بالعبرية والانكليزية في السنة ١٩٥٦[١]. اما الفتائت التي وُجدت منثورة هنا وهنالك في هذا الكهف الاول فإنها تعدّ بالمئات . وقد عُني بها الأبوان برتلماوس وميليك ، ونشراها مع غيرها من شتى الآثار في المجلد الاول من سلسلة اوكسفورد في السنة ١٩٥٥[٢]

وكشف التعامرة الكهف الثاني في شباط السنة ١٩٥٢ بالقرب من الكهف الاول ولحقهم العلماء اليه فلم يجدوا فيه سوى فتائت منثورة من نوع ما وُجد في الكهف الاول[٣]



سلسلة الصخور التي تقع فيها الكهوف

وحزّ سبق التعامرة في صدور العلماء فقاموا بين العاشر والثاني والعشرين من آذار سنة ١٩٥٢ بحملة منظمة اشتركت فيهـــا مدرسة الابحاث الكتابية Ecole Biblique

(١) *Avigad, N.*, and *Yadin, Y :* A. Genisis Apocryphon, Jerusalem, 1956.

(٢) *Barthelemy, D.*, and *Milik, J. T. :* Discoveries in the Judean Desert, Oxford Univ. Press, 1955.

(٣) *Milik, J. T. :* Dix ans de découvertes, (1957), 17.

الفرنسية ، ومدرسة الابحاث الاميركية ، وادارة المتحف الفلسطيني . فمشط العلماء جميع الصخور المطلّة على البحر في جبهـــة طولها ثمانية كيلومترات امتدّت من رأس الفشخة في الجنوب حتى حجر السباع في الشمال . وأسفر هذا الجهد المضني عن كشف عشرين كهفاً قديماً مشحونة بالخزف خالية من المخطوطات . ولم يوفق العلماء إلا إلى كهف واحد في اقصى الشمال هو ذو الرقم الثالث ، فيه درجان من النحاس مخطوطان بالحروف العبرية المربعة[١] . والدرجان النحاسيان يحملان تعليمات عن كنوز معينة خبئت في زمن مجهول في اماكن معينة . فقد جاء في العمود الاول وفي السطر ٦ — ٨ انه يوجد في الصهريج الكبير في وسط الدار الخارجية ٩٠٠ مثقال ؛ ويوجد في الصهريج عند أسفل الحصن ، في الجهة الشرقية ، في مكان محفور في الصخر ٦٠٠ سبيكة من الفضة (ع ٢ س — ١٠ — ١٢) ؛ ويوجد تحت زاوية الرواق الجنوبية ، عند قبر صدوق وتحت الفلستر ، آنية بخور من خشب الصنوبر ، وآنيـــة بخور من خشب الاكاسية (ع ١١ س ١ — ٤) ؛ ولو أحصينا جميع كميات الذهب والفضـــة الواردة في هذين الدرجين النحاسيين لبلغت مئتي طن[٢] ! ويشك العلماء في هل تنبئ هذه المعلومات باخبار كنوز حقيقية او لا

وفي أواخر صيف السنة ١٩٥٢ التف لفيف من التعامرة حول احـــد شيوخهم يتسامرون ويتبادلون اطراف الحديث حول هذه الآثار القديمة التي درّت عليهم ارباحاً بغير حساب . فذكر الشيخ انه ، منذ زمن بعيد حين كان لا يزال في مقتبل العمر اتفق له ان طارد حجلًا جريحاً ففرّ من امامه واختفى فجاةً في ثقب في الصخر لا يبعد كثيراً عن خربة قمران ، وانه تأثّره فوجد بعد جهد جهيد ان الثقب مدخل لكهف قديم . فالتقط الحجل وحمل معه سراجاً قديما مصنوعا من الخزف . وتلقى الشبان التعامرة هذا الحديث بلهفة وشوق زائدين ولحظوا بدقة الاماكن التي اشار اليها الشيخ في حديثه ، ثم تحركوا آخذين معهم كيساً من القنب وحبالاً ومشاعــــل قاصدين قمران . وما إن وصلوا الى الهدف حتى تدلوا بالحبال ودخلوا الكهف وبدأوا يحفرون ارضه . وما ان ازاحوا عدة امتار مكعبة من التراب الذي تراكم في ارض الكهف حتى عثروا على ألوف

(١) *Allegro, J. M.*: The Dead Sea Scrolls, 181-185; *Dupont - Sommer, A.*: Les Rouleaux de cuivre trouvés à Qumran, Rev. Hist. Rel., 1957, 22-36.

(٢) *Burrows, M.*: More Light on the Dead Sea Scrolls, 8-10; A.

من فتائت المخطوطات . وبدأ التعامرة بعد ذلك يتوافدون على المؤسسات العلمية في المدينة المقدسة يعرضون ما وجدوا ، ويضللون في ما أبدوا من معلومات عن الاماكن التي وجدوا فيها بضاعتهم الجديدة

ولكن اعين زملائهم كانت قد تفتحت وكان الحسد قد اخذ من هؤلاء كل مأخذ فعلم العلماء اين وُجدت البضاعة بالضبط . وفي الثاني والعشرين من ايلول سنة ١٩٥٢ زار الأبوان دي فو وميليك كهف الحجل فأطلقا عليه الرقم أربعة ، وامسى الكهف الرابع ، وهو لا يبعد كثيراً عن خربة قمران بل يطلّ عليها من الصخور الجنوبية الغربية . وعمل العالمان في ارضه زهاء اسبوع كامل بالتعاون مع مديرية الآثار والمتحف فعثروا على بضع مئات من الفتائت . ثم أدى التفتيش في الصخور المجاورة الى الكشف عن كهف جديد دُعي الكهف الخامس ، وإلى العثور على اثنتي عشرة مخطوطة جديدة وكُشف ايضاً عن كهف جديد في أسفل المضيق نفسه دعي الكهف السادس وعُثر فيه على وسقة جديدة من الفتائت

واستمسك التعامرة بما وجدوا في الكهف الرابع وضنوا به طالبين اسعاراً مرتفعة غير عارضين للبيع سوى بعض ما وجدوا بين آونة وأخرى . واستمر العرض حتى صيف السنة ١٩٥٦ ، واشتدت المساومة . وشعر العلماء المحليون انه لا بد من الاستعانة باموال من الخارج لارضاء التعامرة فناشدوا المؤسسات العلمية في العالم أجمع وطلبوا المعونة المالية منها بعد اعترافهم بفضل الحكومة الاردنية وانفاقها الذي كان اكثر مما تسمح به ظروفها . فلبّت النداء كلٌ من جامعة ماغيل McGill الكندية وجامعة مانشستر البريطانية وجامعة هيدلبرغ الالمانية وكليّة ماكورميك McCormik اللاهوتية في شيكاغو ومكتبة الفاتيكان . فوُجد المال المطلوب وباع التعامرة البضاعة فتجمعت كلها في متحف فلسطين في بيت المقدس

وكان لا بد من التعاون العلمي الفني ايضاً لاظهار ما حوته هذه الآثار الجديدة . فتألف فريق علمي جديد من الأسقف سكيهان Skehan الاستاذ في جامعة واشنطون الكاثوليكية ، والدكتور كروس Cross الاستاذ في كلية ماكورميك اللاهوتية ، والدكتور أليغرو Allegro الاستاذ المساعد في جامعة مانشستر ، والاب ستاركي Starcky من مركز الابحاث العلمية في باريز ، والاستاذ ستروغنل Strugnell من كلية يسوع في جامعة

اوكسفورد ، والاستاذ هونزنغر Hunzinger مندوب جامعة غوتنغن Gottengen ، والاب ميليك من مركز الابحاث العلمية في باريز . وأسندَ الى كلٍّ من هؤلاء عمل يقوم به ليتمّ النشر على اكمل وجه . وستظهر ابحاثهم جميعاً في سلسلة من الدراسات تدعى « اكتشافات في برية اليهودية» Discoveries in the Judaean Desert تعنى بها مطبعة جامعة اوكسفورد

وفي ربيع السنة ١٩٥٥ اهتدى العلماء الباحثون المنقّبون الى كهوف اربعة اخرى — السابع حتى العاشر — وذلك في الصخور المطلة على خربة قمران . ولكنهم لم يجدوا فيها سوى بعض فُتات من الخزف تحمل بعض الالفاظ ، ونزر يسير من فتائت المخطوطات . وفي مطلع السنة ١٩٥٦ عثر التعامرة على كهف في اقصى الشمال هو الحادي عشر ، يوازي في اهمية محتوياته الكهفين الاول والرابع . فقد ظهر فيه درج صغير جميل يحتوي على جزء من كتاب اللاويين ، ومقطوعاتٌ كبيرة من رؤيا اورشليم الجديدة ، ودرجٌ من المزامير ، ونصٌ لسفر ايوب بالآرامية[1]

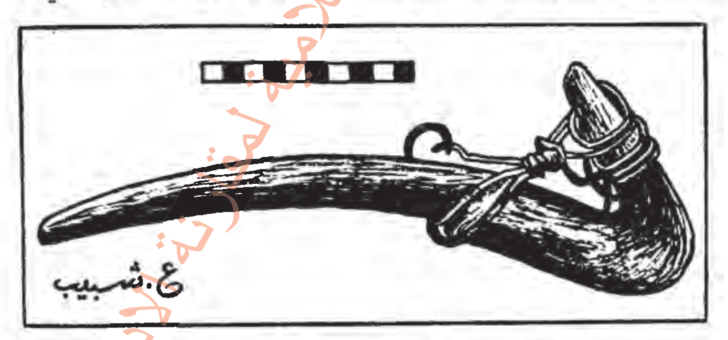
كهوف المربعات

ولم ينفرد وادي قمران بالكهوف التاريخية ، فقد عثر العلماء على عدد منها في وادي المربعات ايضاً . ووادي او « درجة » المربعات يقع على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً عن اورشليم ، الى الجنوب منها ، وعلى بعد خمسة عشر كيلومتراً عن خربة قمران وواديها ، الى الجنوب الغربي منها . وهو ينفتح على وادي التعامرة وينفذ معها الى البحر في مضيق من الصخر كوادي قمران ووادي النار . وكان التعامرة قد حملوا الى المؤسسات العلمية في بيت المقدس ، في صيف السنة ١٩٥١ ، شيئاً من المخطوطات من كهف في وادي المربعات . فأعدّ العلماء العدّة لحملة علمية صغيرة وقاموا الى وادي المربعات في مطلع السنة ١٩٥٢ ، فاذا بهم هذه المرة ينقبون في مجموعة من الكهوف تعلو سطح البحر الميت وتعلو ايضاً كهوف قمران ، وتوازي بارتفاعها سطح البحر المتوسط . وهي تطل على وادٍ سحيق ينخفض تحتها الى عمق مئتين وخمسين متراً . وكهف المربعات الرئيسي وعر المسلك لما تساقط من سقفه وتهدم من جوانبه . طوله

(١) Burrows, M. : New Light on the Dead Sea Scrolls, (1958), 13-14, 30, 35

ستون او سبعون متراً وعرضه ثلاثة او اربعة امتار وارتفاع سقفه ثلاثة امتار . وأدى تساقط الصخور من سقف الكهف الثاني الى سد مدخله . وقل الامر نفسه عن الثالث وغيره

وأشرف على اعمال هذه البعثة العلمية كلٌ من المستر جيرالد هاردنغ Gerald Harding مدير العاديات آنئذٍ في شرق الاردن ، والاب رولان دي ڤو رئيس مدرسة الابحاث الكتابية الفرنسية في بيت المقدس . وأول ما لفت الانظار من الناحية الاثرية صهريج الماء عند مدخل الكهف الاول يعود الى العهد الروماني . ولكن اعمال الحفر في ركام هذا الكهف أظهرت بوضوح انه آوى الانسان منذ العصر الحجري الخالكوليثي ، اي منذ الالف الرابع قبل الميلاد (٤٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق. م) . فقــد عثر المنقبون على فؤوس وسكاكين ومكاشط وسهام حجرية ، ومثاقب عظمية ، وما هو أهمّ من هـذه وتلك، على ادوات خشبية قلما تبقّى شيء منها من هذا العصر البعيد في اي مكان آخر، وأهم هذه الادوات الخشبية مسّاس حمار قد يظنه الناظر اليه لأول وهلة انه أُعــدّ بالأمس ، ومقبض مقشر لا يزال خشبه لمّاعاً ولا تزال سيوره الجلدية التي كانت تشد



مقبض المقشر وسيوره

نصله الحجري محفوظة مرتبطة به . وعثر المنقبون في الكهف الثاني على إبرتين برونزيتين وعلى قارورة من الألـبَـصْـطَـر الشفاف ، وعلى خنفسة من الحجر الثمين تحمل زخرف عصر الرعاة اي زخرف القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد

وكشفت اعمال الحفر في كهوف المربعات الاول والثاني والثالث عن آثار تعود الى العصر الحديدي في القرنين الثامن والسابع قبــل الميلاد مما يدلّ على استمرار لجوء الانسان اليها حتى ذلك العصر . ودلّت كثرة الآثار الرومانية الباقية في هذه الكهوف

على ان سكانها ، في عهد الرومان ، كانوا اكثر عدداً من ذي قبل ، وانهم استمروا في الاقامة فيها مدة طويلة . فكسرات الفخار والخزف الرومانية كثيرة جداً . والسرُج الباقية تعود بوضوح الى اواخر القرن الثاني بعد الميلاد . والادوات والاواني المعدنية كثيرة ايضاً بينها رؤوس معاول ورماح برونزية ، ورؤوس حراب حـــديدية إحداها بشكل ورق الغار ، وعدد كثير منها مثلث الحدود . وبين الادوات سكاكين ومنجل ومبسط ومسامير وإبر عديـــدة ومفتاح متعدد الزوايا . وتنوعت الآثار الخشبية : فهنالك الكؤوس والصحون والامشاط والازرار والملاعق ؛ ومما عثر عليه في هـــذه الكهوف بقايا اقمشة مزركشة بدقة وخفاف من النعل . ووُجدت في هذه الطبقة عينها مجموعة من النقود يعود معظمها الى زمن ثورة اليهود الثانية (١٣٢ — ١٣٥) بعد الميلاد

ومعظم آثار المربعات الخطية وُجد في كهفها الثاني وقـــد سلم بعض هذه الآثار ولكن معظمها عبثت به حيوانات الكهف ولاسيما جرذانه . فإن هذه لم تعبأ بقدسية الدروج ولا بفائدتها العلمية فراحت تبطّن وكورهـــا بقطع من رقوق المخطوطات وبرديها . وأمست اعمال الكشف في دور من ادوارها تفتيشاً وتنقيباً عن وكور هذه الجرذان لاستعادة ما نقل اليها على مرّ العصور من اجزاء المخطوطات . وكانت قـــد تراكمت في ارض هذا الكهف الثاني كميات من سماد الطيور والحيوانات الصغيرة فنقلها التعامرة الى الاسواق المجاورة لبيعها . ولا يُستبعد ان يكون اليهود قد سمّدوا بيّاراتهم في ضواحي بيت لحم بمخطوطات عظيمة الأهمية لهم قبل غـــيرهم ، فجاءت زراعتهم خاسرة

والمدهش بين آثار المربعات الخطيّة هو بَردية حملت كتابتين عبريتين احداهما تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد ، اي الى مئتي سنة قبل الكتابة على كسرة لاخش Lachish . وعلى الرغم من محاولة إزالة هـذه الكتابة القديمة لترقيم بعض الاسماء المستحدثة فإن بعض الكلمات القديمة لا تزال مقريّة تدلّ على انها تحية رسالة من رسائل القرن الثامن ! وعثر المنقبون على عدد من الكتابات الوجيزة بالعبرية او اليونانية على كسرات من الخزف كما وجدوا على بَرديّتين يونانيتين عقد زواج ، ومصالحة بين زوجين هما « الياس » و « صالومة » . وقد جاءت هذه المصالحة مؤرخة في السنة السابعة لحكم ادريانوس ، اي في السنة ١٢٤ بعد الميلاد . وهنالك ايضاً سند دين ناقص يعود الى عهد الامبراطور

كومودوس (١٨٠ — ١٩٢) . ومما وُجد في هـــذا الكهف عينه تسجيلات مدنية وعسكرية مكتوبة على الرقّ تتضمن اسماء يهودية شائعة آنئذٍ كيوسيفوس ويشوع وشاوول وسمعان تقابلها ارقام وعلامات معينة

ويظهر من كيفية تأريخ بعض الرسائل التي وجـدت في هذا الكهف وغيره من كهوف وادي المربعات الظرف الذي أدّى لسكنى هذه الكهوف في القرن الثاني بعد الميلاد : فبعض هذه الرسائل مؤرخ في « زمن خلاص إسرائيل بخدمات سمعان بن كذبة امير إسرائيل » . والإشارة هنا ، هي بلا ريب ، الى ثورة اليهود الثانية في السنوات ١٣٢ إلى ١٣٥ بعد الميلاد . وسمعان بن كذبة نفسه اصدر اثنتين من هذه الرسائل . فقال في إحداها : « سمعان بن كذبة إلى يشوع بن جلجلة والرجال الذين بمعيتك ، سلام . لتشهد السموات علي انه إذا قام أحد من الجليليين الذين تحمي بما يزعج فإني ساقيّد قدميك كما قيدت ابن أفلول » . (سمعان بن كذبة)[١]

ونصوص الاسفار التي وُجدت في المربعات جميعها مسوّر Massoretic اي مضبوط بالشكل العبري المعروف . وقد آثرنا هذا اللفظ العربي للتدليل على معنى اللفظ العبري « مسّورة » . ولعل الاصل واحد في الحالتين . فالسور عندنا هو اللفظ الدالّ في القضية المنطقية على كمية افراد الموضوع . والقضية المسوّرة هي عندنا عكس القضية المهملة . وورود هذه النصوص مسوَّرة يدلّ على ان تسوير النصوص العبرية على هـذا الشكل كان قد اصبح متفقاً عليه معمولاً به عند السنة ١٣٢ بعد الميلاد . واكمل هذه النصوص درج يتضمن النبوات الاثنتي عشرة . وقد اثرت فيه الرطوبة طوال العصور فاسودّ وأمسى لا يُقرأ إلا على ضوء الاشعة دون الحمراء

وعثر المنقبون ايضاً على مقاطع من اسفار التكوين والخروج والتثنية ونبوّة اشعيا وكانت هذه جميعها مرمية في زاوية مهملة من زوايا الكهف الثاني . وهنالك شقة صغيرة تحمل الآيات الرابعة الى التاسعة من الفصل السادس من سفر التثنية . وكانت تكتب وحدها بهذا الشكل لتصبح حجاباً او تعويذة . وهنالك ايضاً مخطوطات اخرى متأخرة

(١) *Allegro, J. M.* : The Dead Sea Scrolls, (1958), 173

بينها بعض رسائل عربية كتبت على ورق قطني تعود إلى القرن العاشر بعد الميلاد [١]. وحمل التعامرة من هـذه المنطقة نفسها ، منطقة وادي المربعات ، إلى بيت المقدس في منتصف تموز في السنة ١٩٥٢ مخطوطات اخرى لا يمكن تعيين المكان الذي وجـدت فيه بالضبط . وتضمنت هذه المجموعة رسائل تجارية وشرعية بالعبرية والنبطية [٢] تعود الى ايام الثورة الثانية ايضاً ، ١٣٥ بعد الميلاد . وهاك تعريب إحداها بالضبط :

« في العشرين من ايار في السنة الثالثة لتحرير إسرائيل في كفر ببايو قال هـــدر بن يهوذا الكفربابي الى اليعازر بن اليعازر الساكن معه في المكان نفسه . لقد بعتك اليوم بارادتي بيتي الذي يتصل من الشمال بداري لتتمكن من جعـــله يتصل ببيتك . وليس لك اي حق عليّ في الدار المذكورة . وقد بعتك بمبلغ قدره ثمانية دنانير توازي تترادراختين هما كامل الثمن . ولاليعازر كل الحق في شراء هذا البيت حجارته وخشبه وأثاثه وكل ما فيه ... وأرضه . وحدود هذا البيت الذي تشتريه يا اليعازر هي شرقاً ملك يوناتان وشمالاً الدار وغرباً وجنوباً ملك البائع . وليس لك اي حق عليّ في داري وانا هدر لا ادخل ولا اخرج منذ اليوم ابداً

« وانا صالومة بنت سمعان وزوجة هدر لا اعترض على بيع البيت المذكور ابداً . وان ما نملكه اليوم وفي المستقبل سيكون ضماناً لك

« مرة واحدة وهؤلاء هم الموقعون : كتبه هدر بن يهوذا كتبته صالومة بنت سمعان . اليعازر بن متاثيا . سمعان بن يوسف شاهد . اليعازر بن يوسف شاهد . يهوذا بن يهوذا شاهد » (٣)

والدرج اليوناني الذي يتضمن اجزاء من النبوات الاثنتي عشرة المشار اليه اعلاه ذو أهمية كبرى لتاريخ الترجمة السبعينية وموقف اليهود والنصارى منها ولاسيا وان هذا الدرج يعود ، بدليل نوع خطه ، الى نهاية القرن الاول بعد الميلاد . وهو يتضمن اشياء من نبوءات ميخا ويونان ونحوم وحبقوق وصفنيا وزكريا . وقد عني بهذا الدرج الاب برتلماوس فقابله بالنصوص السبعينية مقابلة دقيقة كاملة ، وأعاد درسه على ضوء

(١) *Vaux, R. de :* Les Grottes de Murabbaat, Rev. Bib., 1953, 245-267 ; Quelques Textes Hébreux de Murabbaat, Rev. Bib., 1953, 268-275 ; *Lehmann, O. H. :* A Legal certificate from Bar Cochba's Days, Vetus Testamentum, 1953, 391-396 ; *Cross, F. M. :* La Lettre de Simon ben Kosba, Rev. Bib., 1956, 45-48

(٢) *Starcky, J. :* Un Contrat Nabatéen sur Papyrus, Rev. Bib., 1954, 161-181

(٣) *Allegro, J. M. :* The Dead Sea Scrolls, 176-177 ; *Rabinowitz, JJ. :* Some Notes on an Aramaic Contract, Bull. Amer. Sch. Or. Res., 1954, 15-16 ; *Abramson, S.*, and *Ginsberg, H. L. :* On the Aramaic Deed of Sale of the Third year of the Second Jewish Revolt, Bull. Am. Sch. Or. Res., 1954, 17 ff

المحاورة بين القديس يوستينوس وتريفون اليهودي التي تعود الى القرن الثاني بعد الميلاد فتبين له ان يوستينوس كان على حق في ما ذهب اليه من ان اليهود اهملوا السبعينية بعد ان اخذ بها النصارى ، وان السبعينية كما عرفتها الكنيسة كانت في القرن الاول لا تزال محترمة في الاوساط اليهودية[١]

خربة المرد

وسبق التعامرة العلماء الى خربة المرد ايضاً . فتسربوا في صيف السنة ١٩٥٢ الى كهف تحت الارض في خربة المرد وحملوا منه مخطوطات عرضوها للبيع في بيت المقدس. وخربة المرد هـذه هي مردة « Marda » الروم وقسطلهم « Kastellion » . ومردة بالآرامية هي القسطل باليونانية او القلعة . وهي هيركنيون Hyrcanion الاشمونيين ، وقلعتهم الشهيرة لا تبعد اكثر من خمسة كيلو مترات عن دير مار سابا

وكان النقيب البلجيكي فيليب ليبنس الذي اشترك في اعمال الاستكشاف في السنة ١٩٤٩ قد عاد الى وطنه وتولى التدريس في جامعة لوفان . وكان لا يزال يتابع اخبار قمران ومخطوطاتها . فأقنع ادارة جامعته ، وأطل في السنة ١٩٥٣ وزميله الأب دي لانغ « de Langhe » فتوليّا أمر التنقيب في خربة المرد . فتبيّن لهما ان هذه الخربة حوت ركام دير مسيحي قام على اطلال قلعة هيركانية في القرن الخامس واستمر عامراً حتى القرن التاسع بعد الميلاد . فهنالك أرض كنيسة غشيت بالفسيفساء وأثار عدد من الصوامع وقبور الرهبان . أما الاسفار الخطية التي وجدت في هذه الخربة فانها جاءت باليونانية وبلهجة آرامية تعرف باللهجة الفلسطينية المسيحية . وهي اجزاء من سفر يشوع وانجيلي متى ولوقا وسفر الاعمال ورسالة بولس إلى أهل كولوسي . وهذه هي المرة الاولى التي ترد فيها بعض هذه الاسفار بالآرامية . وهنالك رسائل عادية بالآرامية والعربية احداها لشخص يدعى جبرائيل وجهها في القرن السابع الى رئيس هذا الدير والاسياد والآباء فيه ، وإليك تعريبها :

«من المبارك بالرب والخاطئ جبرائيل الى رئيس دير اسيادنا وآبائنا : اني ارجو ان ترفع الصلوات لاجلي لانجو من العشيرة التي يرتجف منها قلبي . سلام لكم من الآب والابن والروح القدس . آمين (٢) »

---

(١) *Barthelemy, D. :* Redécouverte d'un chainon manquant de l'Hist. de la Septante, Rev. Bib., 1953, 18-29 ; *Allegro, J. M. :* Dead Sea Scrolls, 177-179

(٢) *Milik, J. T. :* Une Inscription et une lettre en Araméen Christopalestinien, Rev. Bib., 1953, 526-539 ; *Burrows, M. :* More Light, 33-34

خربة قمران

وكان من الطبيعي ان يربط العلماء بين الكهوف التي كشفوا في صخور قمران وبين ركام قديم قام في السهل عند اسفل هذه الكهوف على بعد ٧٥٠ متراً عنها . فعادوا يستقصون اخبار هذه الخربة وينظرون في ما قاله فيها العلماء الباحثون . فوجدوا ان دي ساسي الذي زارها في السنة ١٨٥١ اعتبرها آثار عامورة ! وان كليرمون غانو الذي أطل عليها في السنة ١٨٧٣ رآها رومانية ، وكذلك دالمان في السنة ١٩٢٠ . ثم اعتبرها مرتينوس نوث مدينة الملح التي ورد ذكرها في سفر يشوع (١٥:٦٢) . وكانت قبورها العديدة التي اتجهت شمالاً قد استرعت نظر كليرمون غانيو فأكد انها تقدمت ظهور الاسلام . فرأى هاردينغ ودي فو في السنة ١٩٤٩ أن يكشفا عن بعض هذه القبور فوجداها بسيطة جداً خالية من أي زخرف او مجوهرات . ووجدا الهياكل ملقاة على الظهر متجهة نحو الشمال مصلّبة الايدي . فافترضا ان سكان هذه الخربة كانوا من أهل الزهد مرتبطين بقوانين وتقاليد معينة .

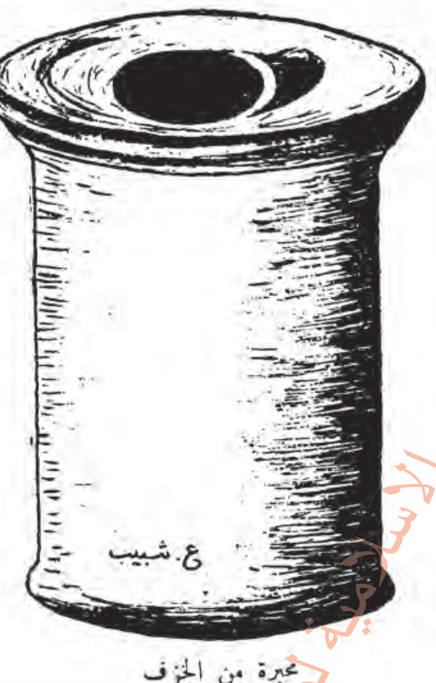
وألح عدد من العلماء على الكشف عن هذه الاخربة لاستيضاح امر المخطوطات في الكهوف المجاورة فعاد هاردنغ ودي فو الى الحفر والتنقيب في خريف السنة ١٩٥١ ، وشرعا في عمل علمي فني منظم استغرق مدة من الزمن ، واستوجب متابعة العمل اربعة فصول متتالية بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٦ ، وأدّى أيضاً الى الكشف عن خربة أخرى تقع الى الجنوب من قمران بالقرب من عين الفشخة[١]

وتشغل أخربة قمران بمجموعها مساحة من الارض تقدر على وجه التقريب بثمانين متراً في ثمانين . وهي تتألف من بناء رئيسي واجنحة ومقابر . والبناء الرئيسي يتألف من صحن مفتوحة من اعلاها تحيط بهــا من جهاتها الأربع ابنية متفاوتة الشكل والارتفاع . واول ما يلفت النظر من هذه برج ذو دورين يقوم عند الزاوية الشمالية الغربية ويتصل بـه من الجنوب ، ويُشغل ما تبقى من الضلع الغربي من البناء الرئيسي قاعة كبيرة بمقاعد ملاصقة لجدرانها . ويتصل بهذه القاعة من الشرق قاعة أخرى طولها ثلاثة عشر متراً وعرضها اربعة أهم ما فيها موائد للكتابة مصنوعة من الآجرّ ومطلية

---

(١) Vaux, R. de : Compte-Rendu, Rev. Bib., 1953, 83-106, 540-561 ; 1954, 206-236; 1956, 533-577

بالجص". وهنالك موائد اخرى تحمل مغاسل لغسل الايدي قبل البدء بالكتابة. وقد وجد على موائد الكتابة محابر من البرونز والخزف لا تزال تحفظ في قعرها بقايا ناشفة من الحبر الاسود.



محبرة من الخزف

ويلاصق البرج من الشرق بناء خُصص للمطابخ وفيه المواقد وغيرها مما يلزم لاعداد الطعام. اما مغاسل الثياب ونحوها والمصابغ فإنها تقع في ابنية قائمة في الضلع الشرقي من هذا البناء الرئيسي بالقرب من صهريج كبير بل بين صهريجين كبيرين احدهما في الضلع الشرقي والآخر في الضلع الجنوبي. ويقوم الى الجنوب من الصهريج الجنوبي بناء طوله اثنان وعشرون متراً وعرضه اربعة امتار ونصف المتر. وهو في نظر رجال الاختصاص قاعة الاجتماع تتلى فيها النصوص المقدسة والشروح عليها، وتقام الأدعية والصلوات وتقدم وجبة الطعام المقدسة. وقد عُثر في زاوية هذه القاعة الجنوبية الغربية على صحون مكسرة استعملت قبيل الخراب. ووجد أيضاً في غرفة ملاصقة اكثر من ألف صحن محفوظة للاستعمال عند الحاجة

وأهم ما في الاجنحة التابعة لهذا البناء الرئيسي الصهاريج التي كانت تحفظ ما يتدفق من مياه الشتاء لاستعماله في ايام القيظ. وهنالك أيضاً مصانع ومشاغل كان لا بد من الاعتناء بها[١].

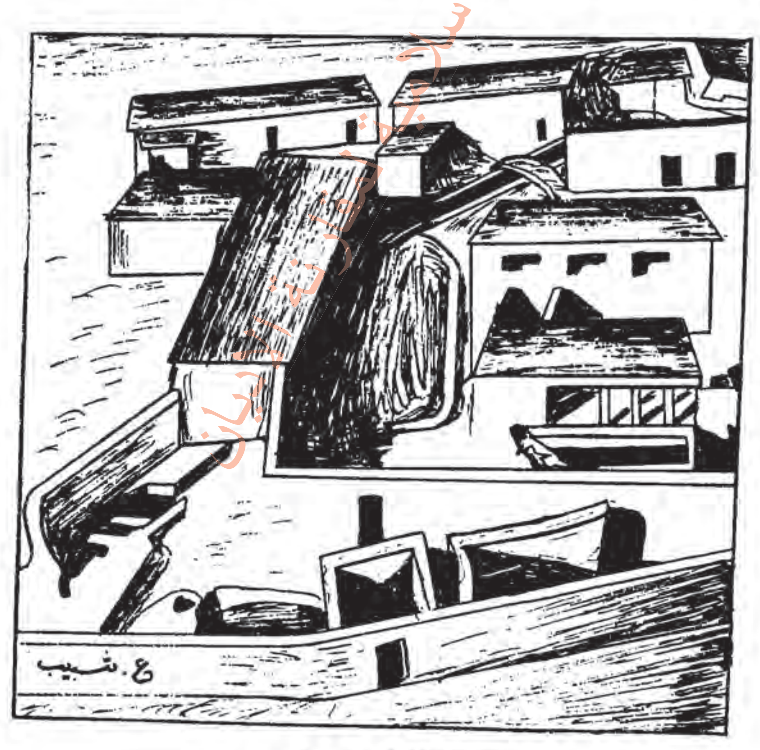
(١) *Milik, J. T. :* Dix ans de découvertes, 41-44 ; *Ploeg, J. van der :* The excavations at Qumran, (1958), 63-67

الفصل الثاني

التعرف بالمكان وتعيين الزمان

خرائب قمران

والأفضل ان يُقال خرائب قمران لا خَرِبة قمران لان ما تبقى من بنيان فيها يعود الى عصرين مختلفين . فالمداميك السفلى من الزاوية الشمالية الغربية من البناء الرئيسي تختلف في حجم حجارتها وسماكة بنائها عن سائر ما تبقى من جدران قائمة .



دير قمران كما يظهره الترميم

وهذا الطراز من البناء هو طراز القرون الثامن الى السادس قبل الميلاد . وهو يتفق وما تبقى من آثار هذه القرون في وادي البقيعة فوق قمران . وعُثر على هذا النوع من البناء أيضاً في الجناح الغربي حوالي الصهريج المستدير ؛ ومما يؤيد هذا الرأي ايضاً وجود قطع من الخزف تعود هي أيضاً الى القرون الثامن الى السادس قبل الميلاد

ويجوز القول والحالة هذه ان القديم القديم من خرائب قمران هو بقية باقية من « مدينة الملح » التي يرد ذكرها في سفر يشوع (١٥ : ٦٢) . فقد امتحن الأب ميليك والدكتور كروس، في صيف السنتين ١٩٥٤ و ١٩٥٥، ما تبقى من آثار في سهل البقيعة الى الشمال الغربي من قمران فوجدا ان هذه الآثار تعود هي ايضاً الى القرون الثامن الى السادس قبل الميلاد، ورأيا فيها البقية الباقية من مِدّين وسَكاكة ونِبْشان المدن الثلاث الاخرى الواردة في الفصل نفسه من سفر يشوع (١٥ : ٦١) ؛ ورأيا أيضاً أن تكون هذه المدن هي الابراج ومدن الخزن التي أمر يوشافاط بانشائها في يهوذا عندما تقدم وعظم امره، كما جاء في سفر اخبار الايام الثاني (١٧ : ١٢) ؛ وان تكون هي نفسها المشار اليها في الفصل السادس والعشرين من هذا السفر نفسه « الابراج التي بناها عُزّيا في البرية لانه كان محباً لاعمال الارض[1] » . وقد ارتأى مرتينوس نوث ان يكون وادي البقيعة هو وادي عكور الذي رُجم فيه عاكان وبنوه وبناته وحميره وغنمه وأُحرقوا بالنار (يشوع ٧ : ٢٤[2])

ويجدُّ العلماء المنقبون في التفتيش عن النقود في الآثار الباقية لعلهم يهتدون بواسطتها الى تحديد الزمن الذي تعود اليه هذه الآثار . وقد وجد المنقبون في خرائب قمران عدداً كبيراً من النقود . وقد جاء في تقرير لهم عن اعمالهم، في اثناء السنة ١٩٥٣، انهم وجدوا ثلاث قطع من النقود الفضية التي سكّها انطيوخوس السابع في السنوات ١٣٦ و ١٣٠ و ١٢٩ قبل الميلاد ، ووجدوا ايضاً اربع عشرة قطعة من مسكوكات يوحنا هيركانوس (١٣٥ — ١٠٤) قبل الميلاد ، وثمانياً وثلاثين قطعة من مسكوكات الكسندروس بن يوحانان (١٠٣ — ٧٦) قبل الميلاد، وخمس عشرة قطعة حشمونية ،

---

(١) *Milik, J. T., et Cross, F. M.:* Rev. Bib., 1956, 74-76, Bull. Amer. Sch. Or. Res., 1956, 5-17; *Burrows M.:* More Light, 20-21

(٢) *Noth M.:* Der Alttestamentliche Name der Siedlung auf Khirbet Qumran, Zeit. Palest. Ver., 1955, 111-123

واثنتين من اصدار انتيغونوس متتياس (٤٠ — ٣٧) قبل الميلاد، وقطعة فضية واحدة من مسكوكات صور في السنة ٢٩ قبل الميلاد ، وست قطع من اصدار أرخيلاوس (٤ ق.م — ٦ ب.م) وثلاثين قطعة رومانية من مسكوكات اوغوسطوس وطيباريوس وكلوديوس ونيرون (٦ — ٦٧) بعد الميلاد، واحدى عشرة قطعة تعود الى السنة الثانية من الثورة الاولى (٦٧ — ٦٨) بعد الميلاد ، وقطعتين تعودان الى السنوات ٦٧ — ٧٣ بعد الميلاد، وثلاثاً تعود الى زمن الثورة الثانية (١٣٢ — ١٣٥) بعد الميلاد، وخمس قطع بيزنطية عربية وجدت على وجه الارض . ثم جاءت اعمال التنقيب في السنوات ١٩٥٤ الى ١٩٥٦ تؤيد هذه النسبة نفسها في القلة والكثرة من مسكوكات هذه العصور نفسها

وفوجئ المنقبون والعمال والتعامرة ، في مطلع السنة ١٩٥٥ ، بكنز مدفون حوى خمس مئة وخمسين قطعة من الفضة من مسكوكات مدينة صور الصادرة عنها في القرن الاول قبل الميلاد قبل السنة التاسعة؛ وكان قد دفن في جرات ثلاث في ارض غرفة صغيرة من غرف احد الاجنحة . فعنيت به ادارة المتحف في بيت المقدس ونظفت القطع مما علاها من الصدإ وعرضتها كما عثر عليها ، فضة برّاقة تتدفق من جرات قديمة

وهكذا فإن قطع الدراهم التي وجدت في خرائب قمران عديدة ومتنوعة . ولولا كثرتها وتنوعها لما تمكنا من الاستعانة بها لتعيين الزمان الذي قامت فيه هذه الاخربة آهلةً بالسكان . فمجرد العثور على ليرة ذهبية عثمانية في خربة ما في لبنان مثلاً لا يدلّ دلالة منطقية سليمة على ان الخربة قامت آهلة بالسكان في الزمان الذي سُكّت فيه هذه الليرة . فاننا لا نزال في لبنان نتداول الليرات العثمانية الذهبية التي سُكت في عهد عبد الحميد ومحمد رشاد حتى ساعتنا هذه وبعد مرور نصف قرن على صدورها وعلى خروج الاتراك من ربوعنا . ولكن العثور على كثرة من النقود الواحدة في خربة معينة تدلّ على ان سكان هذه الخربة عاشوا في العصر الذي كثرت فيه هذه النقود وكثر التداول بها

ولما كانت النقود التي سُكت في عهد الاسكندر بن يوحانان Alexander Jannaeus الحشموني كثيرة في خرائب قمران — وكان هذا الاسكندر قد حكم من السنة ١٠٣ حتى السنة ٧٦ قبل الميلاد — جاز القول ان خرائب قمران كانت قائمة آهلة بالسكان في هذه الحقبة من تاريخ فلسطين

وإذا استثنينا أمر الكنز الذي وجد مدفوناً في إحدى الغرف جاز لنا القول ان الخرائب خلت من نقود تعود الى عهد هيرودوس الكبير (٣٧ – ٤) قبل الميلاد. ولعلها خلت من السكان ايضاً لان الجدران والسلالم والصهاريج لا تزال تحمل آثار زلزال كبير حلّ بها في عهد هيرودوس نفسه في السنة ٣١ قبل الميلاد. فالدرجات التي تؤدي الى احد الصهاريج مشقوقة من أسفلها حتى اعلاها وقد انخسف أحد شقيها مقدار ثلاثين سنتيمتراً عن الآخر. وجـدران البرج الكبير مشققة ايضاً، وعتبة من اعتاب غرفه مكسورة؛ وكذلك جدران بعض الابنية الاخرى. ونحن نعلم نقلاً عن يوسيفوس ان ارض فلسطين زلزلت في عهد هيرودوس في السنة ٣١، وانه كان، وقت الارجاف، على رأس جيشه في أريحا بالقرب من قمران، وان جنوده تطايروا فزعاً ولكنه وفق إلى جمعهم والسير بهم عبر الاردن لمقابلة عدوه[1]

ولا تتكاثر النقود قبل عهد الاباطرة الرومانيين الاولين (٦ – ٦٧) بعد الميلاد، وقد يكون السبب في ذلك ان سكان قمران لم يجرؤوا على العودة اليهـا ولم يذهب خوفهم من الزلزال إلا بعد مرور ربع قرن عليه. فانهم لم يُرتقوا الشقوق ولم يدعموا الجدران ولم يحفروا الصهاريج الجديـدة إلا في النصف الاول من القرن الاول بعد الميلاد

وجاءت الثورة الاولى في السنة ٦٦ بعـد الميلاد فعمت فلسطين بكاملها وشملت قمران. واضطرت رومة ان تقمعها فأطل فيسباسيانوس بجنوده على أريحا وسهولها ولعله لقي شيئاً من المقاومة في قمران فأحرقها. فان رؤوس النبال الرومانية لا تزال منثورة في طبقة من الرماد وغيره من آثار النار. ولمس الرومان اهمية قمران من النـاحية الستراتيجية لنشر الامن في البلاد فحولوا برج قمران وبعض مبانيها القريبة من البرج الى ثكنة عسكرية. وما فتئوا مقيمين فيها حتى نهاية القرن الاول. وعند خروجهم منها أمست خالية من السكان. ولم يعد احد اليها قبل الثورة الثانية (١٣٢ – ١٣٥). وما ان اخمدت هذه حتى عادت قمران الى سابق وحشتها. وما فتئت حتى يومنا هذا[2]

(١) *Fritsch, C. T.:* Herod the Great and the Qumran Community, Journ. Bib. Lit., 1955, 173-181

(٢) *Kelso, J. L.:* The Archeology of Qumran, Journ. Bib. Lit., 1955, 141-146; *North, R.:* Qumran and Its Archeology, Cath. Bib. Quart., 1954, 426-437; *Allegro, J. M.:* Dead Sea Scrolls, 82-90; *Ploeg, J. van der:* The Excavations at Qumran, 66-69, 80-87; *Fritsch, C. T.*, The Qumran Community, 1-25

الآثار المخطوطة

وتعيين الزمن الذي تعود اليه الآثار المخطوطة التي وجدت في كهوف قمران ووادي المربعات وخربة المرد يوجب تبيان الزمن الذي وضعت فيه الآثار في كهوفها وتحديد الزمن الذي كتبت فيه وتعيين زمن تأليفها . ويلاحظ هنا ان اهتمام الجماهير لهـــذه المخطوطات واقدام الجرائد والمجلات على نشر اخبارها بدون تبصر او روّية وما نجم عن ذلك من اختلاف في الرأي وحماس في الجدل اضطرّ بعض العلماء الى إبداء رأيهم قبل اكتمال البحث فزادوا بذلك الطين بلة . ويلاحظ ايضاً ان بعض دور النشر في اميركة واوربة لا تزال تنظر الى امر هذه المخطوطات من الناحية التجارية فقط فتدفع الى واجهات المخازن بكل ما من شأنه ان يثير الخواطر ويستفزّ النفوس ليزداد البيع وتتكادس الارباح

درج الدروج

والنظر في الزمن الذي دُرجت فيه هذه الدروج في كهوفها يستوجب الإجابة عن السؤال : لماذا وضعت هذه الدروج في هذه الكهوف ؟ وقد تخالف العلماء في هذا الامر فأصرّ سوكينيك العالم اليهودي على ان الكهوف « جنازات » سُترت فيها كل نسخة وجب إهمالها . وأشار لهذه المناسبة الى درج نبوّة اشعيا الذي وجد في كهف قمران الاول والى الفوارق بين نصوصه والنصوص المألوفة ووجوب اهماله ووضعه في جنازة . وأضاف انه لا بدّ من جنازة او جنازتين لكل كنيس تحفظ فيها الاسفار المهملة وتدفن بكل وقار واحترام بعد تكاثرها . والجنازة في العبرية والعربية واحدة فهي مشتقة من الثلاثي جنز ومعناه جمع وستر . ولا يخفى ان الجَنْز في العربية هو البيت الصغير من الطين ، وان اصل المعنى في هذه المادة كلها هو الاخفاء والكنز

وأيد هنري دل ماديكو Del Medico البندقي القسطنطيني رأي زميله سوكينيك فقال ان الاقمشة التي لُفّت بها هذه الدروج إنما هي اكفانها وان الدروج ألبست هذه الاكفان لانها اعتبرت كتباً ميتة . واضاف ان التقليد قضى بدرج الاسفار المشوّهة والكتب المنتحلة في جنازات من نوع ما تقدّم . وأشار الى اهتمام المعلم سمعان بن غملائيل

في القرن الاول بعـــد الميلاد لجمع رسائل الانبياء الكذبة الذين حرضوا اليهود على الثورة الاولى ضد رومة ، ولدرجها في مخابئ بعيدة عن متناول القوم . وقال ان المعلم غملائيل الثاني (٩٢ — ١٠٠) بعد الميلاد أمر بمثل ما تقدم ذكره بعد سقوط اورشليم وخراب الهيكل . وارتأى دل ماديكو ان تكون هـذه هي الظروف التي أدت الى درج الدروج في كهوف قمران ١



الدرج النحاسي

ورأى معظم العلماء غير ما رآه سوكينيك ودل ماديكو فقالوا ان هذه الدروج انما دُرجت في كهوفها ضناً بكرامتها وحرصاً عليها ، وانها لا بد ان تكون قد خُبئت في ظرف عصيب حلّ باصحابها كحربٍ كاسحة او اضطهاد شديد . ثم اتسعت اعمال الحفر والتنقيب فاتسع افق العلماء معها وتبين ان هذه الكهوف حوت مئات المخطوطات وان بعضها كالدَّرْجين النحاسيين ، كانا من نوع لا يجب تحذير الرجوع اليه . وعثر المنقبون في السنة ١٩٥١ ، في خرائب قمران ، على جرار من الفخار تتفق كل الاتفاق مع الجرار التي وجـدت في الكهوف من حيث الشكل والصنع . ووجـد العلماء مع هذه الجرار نقوداً تعود الى اواخر القرن الاول قبل الميلاد والى النصف الاول من القرن الاول بعد الميلاد . ودقق الدكتور اولبرايت Albright الاميركي في طينة الجرار فوجـــدها رومانية . فاضطرّ العلماء الباحثون ان يعتبروا الجرار التي وجـدت فيها الدروج من النوع الذي كان يصنع في فلسطين في القرن الاول بعد الميلاد . واضطر من كان يقول بهلينية الجرار وانها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد الى التراجع عما ذهب اليه

وأخذ الدكتور كلسو Kelso ، مدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ، قطعة من القماش الذي لُفَّت به الدروج الى الولايات المتحدة ووضعها تحت تصرف العـالم

(١) *Del Medico, H. E.:* L'Enigme des Manuscrits de la Mer Morte, (1957), 23-27; *Burrows, M.:* Dead Sea Scrolls, 75-76

النووي الدكتور لبي Libby ، الاستاذ في جامعة شيكاغو، وطلب اليه أن يحللها تحليلاً كيماوياً نووياً للتعرف بعمرها. فجاء جواب هذا العالم ان هذه القطعة من الكتاب تعود الى مدة حدّها الاقصى ١٦٧ قبل الميلاد، وحدّها الادنى ٢٣٣ بعد الميلاد. وتعليل ذلك ان هنالك نوعاً من الكاربون وزنه الذري ١٤ بدلاً من ١٢، وان هذا الكاربون ذا الرقم ١٤ يتولد باستمرار في أعلى طبقات جو الارض من جراء تعرض ذرة النيتروجين ذي الرقم ١٤ الى أشعة كونية . ويختلط الكاربون ذو الرقم ١٤ بالاوكسوجين فيولد نوعاً خصوصياً من أوكسيد الكاربون يختلف عن اوكسيد الكاربون العادي ولكنه يمتزج فيه . وهكذا فإن جميع النباتات الحية والحيوانات تتنشق الكاربون ١٤ فيبقى فيها بنسبة معينة . وهذه النسبة هي واحد على تريليون من الكاربون ١٤ في الغرام الواحد الى غرام واحد من الكاربون ١٢ . وعند الوفاة ينقطع دخول الكاربون ١٤ الى الاجسام والنباتات. ويبدأ انحلال الموجود منه فيها . ويتم هذا الانحلال ببطء ولكن بمعدل لا يتغير . ونصف مدة الكاربون ١٤ هذه تساوي ٥٥٠٠ سنة . وهكذا فيصبح الغرام الواحد منه نصف غرام بعد مرور ٥٥٠٠ سنة على موت الحي ويصبح أيضاً ربع غرام في الـ ٥٥٠٠ سنة التالية وهكذا دواليك

ويتضح مما تقدم انه اذا تمكنا من معرفة الكاربون ١٤ الباقية في جسم لفظ أنفاسه عرفنا الزمن الذي مرّ على هذا الجسم بعد انقطاعه عن الحياة. ويحرق عندئذ نموذج منه حتى يُمسي كربوناً نقياً ويصار الى تحديد كمية الكاربون ١٤ الباقية بمقياس اشعاعي حسّاس جدّاً على مثال عدّاد غيغر Geiger . وتعين النتيجة بعدد انحلالات الكاربون ١٤ في الدقيقة الواحدة والغرام الواحد. وهذه النتيجة تكون ١٥،٣ في مادة الجسم المعاصر . وتكون ٧،٦٥ في جسم انقطع عن التنفس منذ ٥٥٠٨ سنوات . وتكون ٣،٨٣ لنموذج انقطع عن التنفس منذ ١١١٦٣ سنة . ويحسب رجال الاختصاص في هذا العمل الدقيق حساب الخطأ فيفسحون مجالاً له يقدرونه بخمسة الى عشرة في المئة

ومع ان الكاربون ١٤ موجود في جميع الاجسام التي تتنفس فإن بعضها اقرب لهذه المعالجة العلمية الاشعاعية من غيره . وهذا البعض هو النباتات على انواعها ، ومنها كتان الاقمصة التي لُفت بها دروج البحر الميت، والفحم والاصداف والقشور وقرون الحيوان والعظم المحروق والزبل والجذور

وقد أجريت تجارب من هـذا النوع على آثار مادية تاريخية معينة فجاءت النتائج

مدهشة . فقد احرقت قطعة من خشب سقف بيت وزير فرعوني ، يعود ، في عرف علماء الآثار ، إلى ما بين السنة ٣١٠٠ والسنة ٢٨٠٠ قبل الميلاد ، فجاءت نتيجة امتحان الكاربون ١٤ تدلّ على ان هذا الخشب قطع في السنة ٢٩٣٣ قبل الميلاد مع إمكانية خطأ يقدّر بمئتي سنة قبل هـذا الرقم او بعده . وامتحن علماء الاشعاع خشب قارب ينسب الى الفرعون سيسوستريس الثالث الذي توفي في السنة ١٨٤٩ قبل الميلاد بموجب تقدير علماء الآثار ، فجاءت نتيجة الامتحان تحدد سنة قطع هـذا الخشب بالرقم نفسه تقريباً . وهكذا فانه بامكاننا ان نقول بشيء كثير من الضبط العلمي ان الكتان الذي صنعت منه اقمصة الدروج في كهوف قمران ُقطع وامتنع عن التنفس بين السنة ١٦٧ قبل الميلاد والسنة ٢٣٣ بعد الميلاد[١]

وهكذا فانه لم يبقَ مجال للتردد : فالدروج دُرجت في الكهوف عند خراب قمران بين السنة ٦٦ والسنة ٧٠ بعد الميلاد حرصاً عليها وضناً بكرامتها وقدسيتها . هذا ما يقول جمهرة العلماء ولاسيما الاب دي قو والدكتور باروز[٢]

نسخ الدروج

واذا كان استنساخ احدث الدروج عهداً تمّ قبل السنة ٧٠ بعد الميلاد ، سنة دَرْج الدروج في كهوفها ، فما هو الزمن الذي تمّ فيه استنساخها بالضبط ؟

يلاحظ في الاجابة عن هذا السؤال ان الكشف عن آثار قمران دلّ على ان سكان هذه الخرائب كانوا يعنون باستنساخ الاسفار المقدسة وغيرها ؛ وانهم افرزوا لهـذه الغاية قاعة معينة فأقاموا فيها الموائد والمقاعد للكتابة ، وانشأوا المغاسل للتطهير قبل البدء بالعمل نظراً لقدسية ما يفعلون . ويلاحظ ايضاً ان بعض محابرهم لا تزال باقية حتى يومنا هذا ، وان حبرها لا يزال راسباً في قعورها ، وان هـذا الحبر هو من نوع الحبر الذي كتبت به الدروج . وهو مزيج من الكاربون التجاري غير النقي ومن شيء من الماء ومادة صمغية ، خالٍ من المواد المعدنية كما أبان ذلك الدكتور مارولد بلندر لايت Plenderleith العالم الخبير في المتحف البريطاني . وهكذا فإنه يجوز القول ان بعض

(١) *Collier, D.:* New Radiocarbon Method for Dating the Past, Biblical Archaeologist, 1951, 25-28; *Guindon, W. G.:* Radio-active Carbon and the Dead Sea Scrolls, Cath. Bib. Quart., 1951, 268-275; *Sellers, O. R.:* Date of Cloth from the Scrolls Cave, Bib. Arch., 1951, 29; Bull. Am. Sch. Or. Res., 1951, 24-26; *Wright, G. E.:* Some Radio-carbon Dates, Bib. Arch., 1951, 31 f.

(٢) *Burrows, M.:* Dead Sea Scrolls, 82

الدروج استنسخ في قمران نفسها يوم كانت آهلة بالمتزهّدين المتعبدين ، اي بين اواخر القرن الثاني قبل الميلاد والسنة ٧٠ بعد الميلاد[١]

واذا كان بعض هذه الدروج قد استنسخ في قمران في الزمن الذي ذكرنا فمتى تمّ استنساخ البعض الآخر . ولا بد من اخذ هذه الامكانية بعين الاعتبار لانه ليس هنالك ما يثبت ان زهّاد قمران امتنعوا عن ادخار ما لم يستنسخوا في قمران نفسها . وفي الاجابة عن هذا السؤال لا بد من التدقيق في هذه الدروج من ناحيتها الفنية الخطية اي من الناحية الباليوغرافية Paléographic . وربّ معترض يقول : وهل لدى العلماء عدد كافٍ من نماذج الخطوط العبرية في العصور القديمة يخولهم سلامة الاستنتاج في تعيين زمن الكتابة ؟ فنجيب انه ليس هنالك ما يكفي لتحديد زمن الكتابة بالضبط ولكن هنالك ما يكفي للقول بان كتابةً ما قد تمّت في اثناء قرن معين او نصف قرن معين . وقد يكون هنالك ما يكفي للقول ان كتابة ما تمّت في اثناء خمس وعشرين سنة محددة

وليس لدينا مخطوطات « مؤرخة » تعود الى القرن الاول بعد الميلاد او الى القرن الاول قبل الميلاد فتصلح للمقابلة مع خطوط هذه الدروج لتعيين تأريخها بالضبط . ولكن هنالك نقوشاً كتابية تعود الى النصف الاول من القرن الاول بعد الميلاد ، ونقوشاً اخرى تعود الى القرن الاول قبل الميلاد يمكن اعتمادها واتخاذها مداراً للتطبيق . وبعض هذه النقوش من النوع الغرافيتي الذي لا يختلف كثيراً عن الكتابة بالحبر على رق او ورق بردي . والاشارة هنا الى اسماء الاموات التي خطت بسرعة بزاوية ازميل على النواويس الحجرية لدى درج الجثث فيها . ومعظم هذه النقوش الغرافيتية يعود الى النصف الاول من القرن الاول بعد الميلاد[٢] . ولدينا من نقوش تل الجزر ما يفيدنا عن ميزات الخط العبري في القرن الاول قبل الميلاد ، ومن نقوش حصن طوبيا في شرق الاردن ما يمثل خط القرن الثاني قبل الميلاد . وهنالك بردية ناش Nash التي تعود في الراجح الارجح الى هذا القرن نفسه[٣] . وأقدم من هذه وتلك برديات ادفو وأسوان . واليك الآن نموذجاً يبين تطوّر حرف الميم في شكليه المتوسط والنهائي :

---

(١) *Burrows, M.:* Dead Sea Scrolls, 37-38, 82, 101 ; *Allegro, J. M.:* Dead Sea Scrolls, 82

(٢) *Burrows, M. :* Dead Sea Scrolls, 87-89 ; *Trever, J. C.:* Bull. Am. Sch. Or. Res. 1949, 22

(٣) *Kengon, Sir Fredrick :* The Bible and Archaeology, 228-229 ; *Albright, W. P.:* The Nash Papyrus, Journ. Bib. Lit., 1937, 145-176

أ ـ ب ـ ج ـ د

١
٢
٣
٤
٥

تطور ميم الوسط

أ ـ ب ـ ج ـ د

١
٢
٣
٤
٥

تطور ميم النهاية

السطر الاول : اشكال الميم في درج اشعيا
السطر الثاني : اشكال الميم في كتاب النظم
السطر الثالث : اشكال الميم في التعليق على حبقوق
السطر الرابع : أ) القسم «الف» من مخطوطة دمشق
ب) القسم «باء» من مخطوطة دمشق
ج) الف رق دورة الفرات (الصالحية)
د) الف وادي المربعات
السطر الخامس : أ) نقش حوزّيا
ب) بردية ناش
ج) بردية ادفو
د) بردية أسوان

السطر الاول : اشكال الميم في درج اشعيا
السطر الثاني : اشكال الميم في كتاب النظم
السطر الثالث : اشكال الميم في التعليق على حبقوق
السطر الرابع : أ) القسم «الف» من مخطوطة دمشق
ب) القسم «باء» من مخطوطة دمشق
ج) الف دورة الفرات (الصالحية)
د) الف وادي المربعات
السطر الخامس : أ) نقش حوزّيا
ب) بردية ناش
ج) بردية ادفو
د) بردية أسوان

ويلاحظ رجال الاختصاص في تطور الخط العبري اموراً اخرى تفيدهم في تعيين زمن الكتابة ، منهـا محاولة ربط الحروف بعضها ببعض التي راجت في بعض الحقب

دون سواها او بين جماعات دون سواهم ثم انقرضت في اثناء القرن الاول بعد الميلاد. ومنها ايضاً صلة الالفاظ المكتوبة بخط افقي يقع تحتها او فوقها فتأتي الحروف إما مرتكزة اليه اذا كان تحتها واما متعلقة به اذا كان فوقها

وتتآلف الأدلة الباليوغرافية، من جميع هذه الانواع التي ذكرنا ، فتدل على ان دروج قمران كُتبت بين السنة ٣٠٠ قبل الميلاد والسنة ٦٨ او ٧٠ بعد الميلاد[١] . وكما تتآلف الالحان فتشكل مجموعاً موسيقياً شائقاً كذلك الادلة التاريخية الفنية فإنها اذا ما عبرت عن الحقيقة الراهنة تتآلف بعضها مع بعض فتتناصر على البطل وتلمع لمعان الحق

ولا يجوز الاخذ بفروقات النصوص بين ما وُجد في قمران وبين ما يعتبر النص المسوّر لتعيين زمن كتابة الدروج كما لا يجوز اعتبار الاتفاق بين هذه النصوص جميعها دليلاً على الزمن الذي استنسخت فيه دروج قمران . فمجرد الاتفاق في النص بين الدروج وبين المسوّر لا يدلّ في حد ذاته على ان الدروج نسخت بعد تسوير النص . فالنصّ المسوّر لم يكن في استنباط المسوّرين . وكذلك الفروقات بين نصوص الدروج والنص المسوّر ليست دليلاً في حد ذاتها على ان نصوص الدروج سابقة للنص المسور[٢]

ولكن هنالك فرقاً في اللغة بين نص بعض هذه الدروج وبين النص المسوّر . فالنص المسوّر الذي سُوّر ما بين القرن الرابع والقرن العاشر بعد الميلاد جاء اوروشليمياً في اللهجة بينما نص نبوّة اشعيا في درج دير القديس مرقس جاء بلهجة عبرية اخرى تختلف عن النص المسوّر في قواعد اللغة وفي التهجئة . وقد تكون بعض المخالفات في التهجئة في درج القديس مرقس ناشئة عن جهل الكاتب او عن قلة اعتنائه وتيقظه . وقد تكون ناشئة عن انتماء النص بكامله الى عصر غير العصر الممثّل في النص المسوّر . وأهم الاختلافات في التهجئة ناشيء عن محاولة قام بها كاتب نص الدرج لضبط لفظ الالفاظ بحروف العلة . وهنا يصح التساؤل هل كانت هذه المحاولة سابقة لضبط النص المسوّر بالشكل ام لاحقة له . وقد ذهب بعض العلماء الى ان مثل هذا الضبط بحروف العلة يعود الى زمن أمست فيه اللغة العبرية لغة كلاسيكية غير محكية ، وانها لو كانت لا تزال محكية لما شعر القراء بحاجة الى هذا النوع من الضبط

(١) *Burrows, M.*: Dead Sea Scrolls, 101
(٢) *Ibid.*, 102-109

ويرى آخرون ان حصر التهجئة بالحروف الساكنة الصحيحة وعدم ضبطها بالشكل او بحروف العلة يحير القارئ ولو كان من ابناء اللغة التي يقرأ ، وان اللجوء الى ضبط النصوص باحرف العلة سابق لضبطها بالشكل كما جاءت في النص المسوّر . وهكذا فإن ظاهرة الاختلاف في تهجئة الكلمات لا تعين الباحث على تعيين الزمن الذي كُتبت فيه هذه الدروج . وهنالك اختلافات في مدّ حروف العلة واختلافات تحريك اواخر الضمائر تومئ الى عصر سابق لعصر النص المسوّر . ولكنه لا يجوز البتّ في شيء من هذا قبل التثبّت من إحصاء كل ما لدينا من نوعه [1]

وليس بامكاننا ان نحدد الزمان الذي صنّفت فيه بعض الدروج لانه ليس في اخبارها المروية ما يعيننا على ذلك وليس في مقدماتها او خواتها ما ينص على شيء من هذا . فلو اخذنا درج التعليق على حبقوق ، وهو ذو صبغة قمرانية هامة ، لوجدناه خالياً من الاشارة الى المعلق وخلواً من اي تاريخ معين . واخباره المروية جاءت خالية من الاشارة الى وقائع معينة او اسماء معروفة يمكن التعويل عليها في تحديد زمن التصنيف ، فهي من نوع اشارة دانيال (١١) الى « ملك الجنوب » و « ملك الشمال » . ولعل المعلق تعمد الابهام لينجو بذلك من المراقبة والاضطهاد . واوضح الاشارات في درج حبقوق ذكرُ اعمال شعب معين هو شعب « كتيم » . ولكن ما جاء عن هذا الشعب لا يفسح المجال لأي استنتاج منطقي سليم . فشعب كتيم « سريعون اشداء في الحرب » وهم « لا يؤمنون بشرائع إله إسرائيل . يحيكون الشر وينفذون الخطط بدهاء وغش . يدوسون الارض بخيولهم وحيواناتهم . يأتون من اماكن بعيدة من شواطئ البحر ليلتهموا الشعوب كالطيور الجوارح » . وليس في مثل هذا القول كله ما يعين المؤرخ على التحديد والتعيين . وأوضح ما جاء عن شعب كتيم انهم يقدمون الذبائح لأعلامهم ويسجدون لأسلحتهم . وليس في هذا ايضاً ما يعيننا على سلامة الاستنتاج وطمأنينة العقل [2]

(١) *Burrows, M.:* Dead Sea Scrolls, 102-116; *Kahle, P.:* Die Textkritische Bedeutung der Jesaia-Rolle, Theologische Literaturzeitung, 1949, 91-94, 1950, 537-542, 1951, 161-166, 1952, 401-412

(٢) *Burrows, M.:* Dead Sea Scrolls, 123-142; *Brownlee, W. H.:* The Hist. Allusions of the Dead Sea Habakkuk Midrash, Bull. Am. Sch. Or. Res., 1952, 10-20; *Delcor, M.:* Essai sur le Midrash de Habacuc, (1951); *Delaye, C.:* Le Cadre Hist. du Midrash d'Habacuc, Eph. Theol., Lovanienses, 1954, 323-343; *Elliger, K.:* Studien zum Habakuk Kommentar, Beit. zur Hist. Theol., 1953; *Stauffer E.:* Zur Fruhdatierung des Habakukmidrasch, Theol. Lit. Zeit., 1951, 667-674

الفصل الثالث

بعض الماضي المعروف

الدروج والجرار

وليس في درج الدروج في جرار معينة ما يثير الدهشة والاستغراب . فالبابليون ومن جاورهم حفظوا لوحاتهم الكتابية في جرار في الالف الثالث قبل الميلاد . والنبي ارميا أوصى تلميذه باروك في السنة ٥٨٨ قبل الميلاد قائلاً (٣٢ : ١٤) « خذ هذين الصكين : صك الابتياع المختوم والصك المفتوح ، واجعلها في إناء من خزف ليدوما أياماً كثيرة » . وجاء في نص يعود الى ايام رعمسيس الثالث (١١٩٨–١١٦٦) قبل الميلاد ما يشير الى مثل هذا . ويقول القديس ابيفانيوس اسقف سلامينة في قبرص في القرن الرابع بعد الميلاد ان نص العهد القديم اليوناني الخامس وُجد في جرة بالقرب من اريحا في السنة ٢١٧ بعد الميلاد ، وان النص اليوناني السادس وُجـــد في جرة في نيكوبوليس على شاطىء بلاد اليونان الغربي[١]. وتيموثاوس الاول بطريرك النساطرة (٧٨٠ – ٨٢٣) كتب الى سرجيوس اسقف عيلام من سلفكية طيسفون يقول : ان بعض المهتدين من اليهود الذين وثق بكلامهم اخبروه ان كتباً وجدت بالقرب من اريحا في كهف في الصخور ، وان راعياً عربياً شاهد كلبه يدخل الى هذا الكهف ولا يخرج منه فتبعه اليه فاذا به امام مجموعة من الكتب . فصعد الى اوروشليم وأخبر اليهود فيها . فنزل كثيرون منهم الى الكهف فوجدوا كتباً من العهد القديم وغيرها . وأكد المهتدون اليهود انه وُجد بين هذه الكتب ما يؤيد موقف النصارى من نصوص العهد القديم في جدلهم مع اليهود[٢]

---

(١) *Mercati*, Studie Testi V, (1901), 28 f.

(٢) *Barthelemy, D., and Milik, J. T.* : Discoveries in the Judaean Desert, (1955), I, 88, n. 4 ; *Eissfeldt, O.*, Der Anlass zur Entdeckung der Hohle und ihre Ahnliche Vorgange, Th. Lit. Zeit., 1949, 597-600 ; *Kahle, P.* : The Age of the Scrolls, vetus Testamentum, 1951, 44

واهتمّ المسوّرون في القرن التاسع لأمر الاسفار الخمسة التي وجدت في اريحا . ولعلها وجدت في كهف من الكهوف في هذه المنطقة نفسها التي نبحث . والجدير بالذكر، لهذه المناسبة، اننا لا نجد اعتراضاً مدوّناً في اعتماد هذه النسخة في عمل التسوير والضبط

ويذكر المؤرخ اليهودي القرقساني، وهو من أعيان القرن العاشر، في كتابه تاريخ الفرق اليهودية «المغايرة» فيقول انهم عرفوا بهذا الاسم لانهم وجدوا كتبهم في مغارة، ويضيف انهم وجدوا الاسفار الاسكندرية وكتاب المعارف، وان الباقي لم يكن ذا أَهمية . وكان قد سبقه إلى ذكر المغايرة بهذا الاسم نفسه بنيامين النهاوندي وهو من أعيان القرن التاسع

وكتب حسداي ابن شيروت قبل السنة ٩٦١ بعد الميلاد، من قرطبة الى ملك الخزر اليهودي في جنوب روسية، ان اليهود خبأوا كتبهم في كهف عندما استولى الكلدانيون على فلسطين في السنة ٥٨٦ قبل الميلاد، وانهم علّموا اولادهم ان يصلّوا في هذا الكهف في كل مساء وكل صباح . ثم نسوا، ولكنهم واظبوا على ممارسة الصلاة في هـذا الكهف . وبعد أيام عديدة قام يهودي يحاول ان يعرف السبب في ذلك فجاء الكهف ووجده مملوءا من الكتب فأخرجها منه[١]

وفي السنة ١٨٧٨ عرض جماعة من البدو على شابيرا Shapira، تاجر الآثار في بيت المقدس، نسخة قديمة من سفر التثنية مكتوبة بخط يقرب من الفينيقي، وقالوا انهم وجدوها في كهف من الكهوف . فحملها شابيرا الى لندن ودقق فيها كليرمون غانيو واعتبرها مزورة، فانتحر شابيرا في السنة ١٨٨٤ وضاعت نسخته . وقد تكون مزورة وقد لا تكون ولاسيما بعد ما جرى منذ السنة ١٩٤٧ . ولذا فان مدير الآثار في إسرائيل صموئيل ياڤين Yievin، يعنى الآن بصور نسخة شابيرا الفوتوغرافية التي لا تزال محفوظة في المتحف البريطاني . وعثر العلّامة شختر Schechter في السنة ١٨٩٦، في جنازة كنيس في القاهرة يعود الى العصور الوسطى، على مخطوطتين قديمتين تعودان

(١) *Segert, S.*: Ein Alter Bericht uber den Fund Hebraischer Handschriften in einer Hohle, Archiv Orientalni, 1953, 263-269

الى القرنين العاشر والحادي عشر او الثاني عشر وتعرفـان بالمخطوطة الدمشقية، او المخطوطة الصدوقية، او مخطوطة القاهرة الصدوقية[1]. وتقع الاولى منها في ثماني وريقات والثانية في وريقة واحدة. وهما تمتّان بصلة وثيقة الى مخطوط وُجد في كهف قمران السادس[2]. وقد جاء في هاتين المخطوطتين ان جماعة من اليهود ممن شعروا بذنوبهم وتلمسوا طريقهم مدة من الزمن غنموا بعلم صلاحٍ اقامه الله عليهم. وقد خرجوا من اسرائيل وهارون، اي من الشعب والكهنة، وعُرفوا بابناء صادوق (صموئيل الثاني ٨ : ١٧). وقد اتفقوا ان يبتعدوا عن الاشرار وألا ينهبوا الفقراء ويحفظوا السبت ويحبوا بعضهم بعضاً. وهي أمور اتفق عليها ابناء «العهد الجديد» في ارض دمشق. وفي هذا كله اتفاق عجيب مع ما جاء في درج القوانين والانظمة في كهوف قمران، ومع ما وُجد بصورة خصوصية في الكهف السادس كما أشرنا

الخرائب وسكانها

وجاء في موسوعة بلينيوس الاكبر (٢٤–٧٩) بعد الميلاد ان جماعة من اليهود عاشوا في ساحل البحر الميت الغربي بعيدين عن جوّه المضرّ، وانهم كانوا ميالين للوحدة غريبين في أمورهم اكثر من غيرهم في العالم أجمع. فإنهم عاشوا بدون نساء، نابذين كل شهوة جنسية، متحرزين من النقود، عائشين بين اشجار النخل. وعلى الرغم من هذا فإن عددهم لم يهبط بل تجدد يوماً فيوماً. وإن كثيرين ممن أتعبهم بحر الحياة الخضم كانوا يجرون مع تيارهم فينضمون اليهم جماعات جماعات. وهكذا فإنهم خلّدوا نوعهم عبر آلاف العصور على الرغم من ان واحداً منهم لم يولد فيه، وأغنتهم توبة الغير وتخشعهم. وتقع عين جدي تحتهم. ولم تأتِ ثانية في الماضي إلا بعد اورشليم وذلك بخصب أرضها وبساتين نخلها. أما الآن فانها ليست سوى قبر من القبور. ثم تأتي حسادة وهي حصن على صخر وكهذه التي ذكرت لا تبعد عن البحر الميت[3]

(١) *Schechter, S.:* Documents of Jewish Seetaries, (1910); *Rabin, Ch.:* The Zadokite Documents, (1954), Gaster, Dead Sea Scrolls, 61-85

(٢) *Baillet, M.:* Rev. Bib., 1956, 513-523

(٣) *Plinius Secundus:* Naturalis Historia, V, 17

ويقول يوسيفوس مؤرخ القرن الاول بعد الميلاد (٣٧–١٠٠)، في كتابه حروب اليهود (٢–٨)، انه كان عنـد اليهود في عصره فِرق فلسفية ثلاث : الفريسيون والصدوقيون والحاسيون[1] (او الآسيون او الاسينيون) ؛ وان هؤلاء وُلدوا يهوداً وتحابوا اكثر من غيرهم، وانهم اعتبروا لذّات الجسد شروراً وذنوباً واعتزوا بالعفـة والتعفف وجعلوا من التغلّب على الشهوات فضيلة . وهم يهملون الزواج وينتقون من أولاد غيرهم من يعتبرونهم منهم فيقبلونهم صغاراً، بنين ذوي قابلية للتعلم ويطبّعونهم بطبائعهم . وهم لا ينكرون صوابية الزواج وحفظ النسل وإنمـا يحذرون سلوك النساء الفاسق مقتنعين ان ليس بينهنّ واحدة تحافظ على أمانتها لرجل واحد

وهؤلاء الرجال يحتقرون الثروة والغنى ويميلون جـداً للتآلف والمشاركة . وليس بينهم من عنده اكثر من غيره . فالقانون بينهم يقضي بان يقدم الداخل في زمرتهم ما عنده للجماعة . فلا ترى بينهم ظاهرة فقر ولا ظاهرة غنى بل اختلاطاً بين ملك الفرد وملك الآخرين بحيث يتراءى لك ان هنالك إرثاً واحداً لجميع الاخوة . وهم يرون في الزيت وسخاً، واذا مُسح احد به بدون موافقته مُسح عنه مسحاً، ويعتبرون عرق الجسم خيراً وكذلك ارتـداء الابيض، ولهم وكلاء خرج يعنون بشؤونهم المشتركة . وليس لأحد منهم مصلحة خصوصية وإنما العمل لمصلحة الكل

وليس لهم مدينة معينة يقيمون فيها ؛ فالكثيرون منهم يقيمون في كل مدينة . وإذا جاءهم احد من فرقتهم من أماكن أخرى وُضع ما عندهم تحت تصرفه كأنه له وبدأ هو في العمل كأنه يعرفه منذ زمن بعيد . وهكذا فإنهم لا يحملون شيئاً معهم عند انتقالهم الى اماكن بعيدة إلا أسلحتهم خوفاً من تعدّي اللصوص . ولهم في كل مدينة يقيمون فيها واحد يعيّن للاعتناء بالغرباء يقدّم لهم ألبسة ولوازم أخرى . ولكن عاداتهم الجسدية وسياسة اجسامهم تشبه أعمـال الصغار الذين يخشون أسيادهم . ولا يستبدلون ألبستهم او أحذيتهم إلا بعد ان تصبح خرقاً بالية أفناها الزمن . ولا يبيعون

(١) من الثلاثي «حسا» وهو الاكتفاء بالقليل، وفي الآرامية الزهد والتقشف . والآسيون الاطباء وهذا اللفظ يتفق ومعنى اللفظ Therapeutes الوارد في كلام فيلون الاسكندري . وللدكتور انيس فريحة اجتهادات اخرى . راجع الكتاب السنوي لرابطة الكتاب المسيحيين (١٩٥٦) ص ٦١

شيئاً ولا يشترون شيئاً من بعضهم : بل يعطي كلٌّ منهم إلى غيره ما يحتاج اليه مما عنده ويأخذ منه ما يوافق حاجته . ومع انه ليس هنالك اي تعويض عما يؤخذ فإنه يحق ان يأخذوا ما يحتاجون اليه من أي شخص آخر

وخوف الله عندهم فوق العادة ، فإنهم لا ينطقون بكلمة واحدة تتعلق بأمور الدنيا قبل شروق الشمس بل يرفعون صلوات ورثوها عن آبائهم كأنهم يضرعون بها ان تشرق عليهم . وبعد هذا يُنفَذون بأمر نظّارهم كلًّا الى ممارسة العمل الذي يجيد ، فيعملون بكل نشاط حتى الساعة الخامسة . ثم يجتمعون في مكان واحد ويستترون بنقاب ابيض ويستحمّون في الماء البارد . وبعد الانتهاء من هذا التطهير يجتمعون في مكان واحد لا يجوز لغيرهم الدخول اليه وينتقلون منه الى قاعة الطعام أنقياء كأنهم يؤمّون هيكلًا مقدساً فيجلسون صامتين ، فيأتي الخباز ويضع امامهم ارغفة الخبز بالترتيب . ثم يقدم الطاهي لوناً واحداً من الطعام في صحن واحد امام كل منهم ويصلي كاهن قبل الطعام ، ولا يجوز لأحد منهم ان يذوق الطعام قبل هذه الصلاة . ثم يصلي هذا الكاهن نفسه بعد الانتهاء من الطعام . وهم يشكرون الله في البداية والنهاية لما انعم به من طعام عليهم . وبعد هذا يخلعون ثيابهم البيضاء ويعودون الى أعمالهم حتى المساء . ثم يعودون لتناول العشاء بالطريقة نفسها . وإذا كان من غرباء بينهم فإنهم يجلسون معهم . ولا يعلو الضجيج بينهم ابداً لينجس بيتهم فإنهم يفسحون المجال لكل واحد منهم ان يتكلم بدوره . ويرى الغرباء في هذا السكوت سراً عظيماً ولكن الواقع انهم يمارسون الاعتدال باستمرار فيتناولون دائماً الكمية نفسها من المأكل والمشرب وهي اكثر من ان تكون كافية

وهم ، والحق يقال ، لا يفعلون شيئاً في الامور الاخرى إلا بموجب تعليمات نظّارهم . وهم ليسوا أحراراً إلا في أمرين ، في مساعدة المحتاج وفي الرحمة . ولهم ان يعاونوا من يشاؤون ممن يستحق ذلك ، وأن يعطوا الطعام الى البائسين . ولكن ليس لهم ان يفعلوا ذلك بعضهم مع بعضهم الآخر بدون موافقة النظار . وهم يصرفون غضبهم بعدل ويُمسكون عن شهواتهم . وقد اشتهروا بالامانة والمسالمة ، وقولهم اثبت من القسم . وهم يتحاشون إعطاء اليمين ويعتبرونه أسوأ من الحنث فإنهم يقولون : إن من لا يصدّق

إلا بعد اليمين يستحق الدينونة قبلها . ويبذلون جهداً عظيماً في درس كتب القدماء وينتقون منها أعظمها فائدة لنفوسهم وأجسادهم ؛ ويفتشون عن جذور الاعشاب والحجارة ذوات الخصائص الطبية ليعالجوا بها امراضهم

وإذا شاء أحــد أن يلتحق بفرقتهم لا يُقبل فوراً بل يؤمر باتباع طريقهم في المعيشة سنة كاملة دون ان يُعتبر واحداً منهم ، ويعطى فأساً صغيرة والمنطقة المذكورة سابقاً والثوب الابيض . وبعد ان يعطي الدليل في تلك المدة على مقدرته في الاعتدال يُقرَّب من أسلوبهم في العيش فيشترك معهم في مياه التطهير ولكنه يظل ممنوعاً عن الاشتراك في العيش معهم . وبعد إثبات صبره على هذا الشكل تمتحَن سجاياه سنتين أخريين ، فإذا وُجد لائقاً أُلحق بالجماعة . وقبل ان يُسمح له بلمس طعامهم يُستحلف على يمين شديدة بان يخشى الله أولاً ، وأن يعدل بين الناس ، وألا يُلحق ضرراً بأحد لا طوعاً ولا إكراهاً ، وأن يكره الشرّ دائماً ، وأن يتعاون مع الصلَح ، وأن يبقى أميناً لجميع الناس ولاسيا أولي الامر لانه لا يصل أحد إلى الحكم بــدون معونة الله ، وألا يسيء استعمال السلطة في حال وصوله إلى الحكم ، وألا يحاول أن يفوق رعاياه بالبذخ والزينة ، وأن يحبّ الصدق على الدوام ويؤنب الكاذبين ، وألا يلطخ يديه بالسرقة ونفسه بالارباح غير المشروعة ، وألا يخفي عن ابنـاء فرقته او يفشي بعقائدهم الى الآخرين ولو اضطرّه الامر إلى المخاطرة بحياته . وكان عليه بالاضافة الى ما تقدّم ان يقسم انه لا ينقل العقائد إلى أحد إلا بالطريقة نفسها التي تسلّم هذه العقائد بها ، وانه يمتنع عن السرقة ويحافظ على كتب الفرقة وأسماء الملائكة . هــذه هي الاقسام التي ربطوا بها الداخلين في فرقتهم

ومن يقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيموت بائساً لانه يكون قد ارتبط بما أقسم وبالعادات التي اعتادها فلا يأكل ما يجد ، بل يضطر أن يأكل العشب فيضعف جسمه حتى الهلاك . ويشفق عليه الجماعة فيعتبرون ما حلّ به من بؤس كفّارة كافية عما ارتكب من خطايا فيعيدونه اليهم في الرمق الاخير

ويدققون كل التدقيق في ما يُصدرون من أحكام ويعدلون . ولا يصدرون حكماً بتصويت محكمة يقل عدد أعضائها عن المئة . وما يُحدَّد بهذا العدد يصبح غير قابل

للتغيير · وما يحترمونه بعـد الله كل الاحترام هو اسم مشترعهم · ومن يجدف عليه يحكم بالاعدام · ويستحسنون طاعة شيوخهم ورأي الاكثرية · فإذا اجتمع عشرة منهم لا يتكلم أحدهم إذا علم أن التسعة الآخرين لا يتفقون معه في الرأي · ويمتنعون عن البصق في ما بينهم وإلى يمينهم · وهم أشد حرصاً على حفظ السبت من أي يهود آخرين · ولا يكتفون بإعداد طعامهم في اليوم السابق كي لا يضطروا الى إيقاد النار بل انهم لا يزيحون آنية من محلها ولا يتغوطون . وليس ذلك فقط بل انهم في الايام الاخرى يحفرون برفش، تعطى لدى دخولهم في الجماعـة، حفرة عمقها قدم ويسترون أنفسهم بالثوب ، كي لا يهينوا أشعة النور الالهي ، ويريحون أنفسهم في هذه الحفرة ثم يعيدون التراب الذي حُفر منها اليها · وحتى هذا أيضاً لا يفعلونه إلا في الاماكن المنفردة التي ينتقونها لهذه الغاية · ومع أن إراحة الجسد هذه أمر طبيعي فإنهم يوجبون بالقانون غسل أنفسهم بعدها كأنها تنجسهم

وبعد انقضاء مدة الامتحان الاعدادي يقسَّمون إلى أصناف أربعة · ويظل المستجدون دون المتقدّمين رتبة ؛ فإذا ما لمس المستجدون المتقـدمين اضطرّ هؤلاء إلى الاغتسال كأنهم اختلطوا بغرباء · وهم يعمرون بحيث ان كثيرين منهم يعيشون أكثر من مئة عام · ويعود السبب في ذلك إلى بساطة طعامهم لا بل إلى محافظتهم على النظام في أمور المعيشة · وهم يحتقرون بؤس الحياة ويترفعون عن الالم لاتساع عقولهم · أما الموت فإنه كان في سبيل مجدهم فإنهم يؤثرونه على الاستمرار في الحياة · وقد سجلت حربنا ضد الرومانيين أدلة وافرة على عظمـة نفوسهم في المحنة · فإنهم على الرغم من تعذيبهم وتشويهم وإحراقهم وتقطيعهم إرباً ، وعلى الرغم من تعريضهم إلى جميع أنواع العذاب ليجدفوا على مشترعهم أو ليأكلوا ما حُرّم عليهم فإن معذبيهم لم يفلحوا في إكراههم على أحد هذين الامرين حتى ولا مرّة واحدة ، ولو كانت لاكرام المعذبين · ولم تتساقط دمعة واحدة بل ابتسموا في آلامهم وهزئوا بمن عذبهم وأسلموا أرواحهم برغبة شديدة كأنهم انتظروا تسلمها مرّة ثانية

والسبب في ذلك ان عقيدتهم هي هذه : ان الاجساد قابلة الفساد وانها لا تدوم ، وان النفوس خالدة مستمرة إلى الابد ، وان هذه النفوس تأتي من الهواء الدقيق جداً

لتتحد باجسادها اتحاد السجن فيها ، وتجتذب اليها بتشويق طبيعي معيّن . ولكن عندما تحرَّر من قيود الجسد تحرُّر الافلات من العبودية تبتهج فتصعد إلى فوق

وبينهم من يحاول أن يتنبأ بما سيحدث بمطالعة الاسفار المقدسة وباللجوء إلى أنواع متعددة من التطهر . وبما انهم يجيدون معرفة أقوال الانبياء فإنهم لا يُخطئون في تنبؤاتهم إلا نادراً

وهنالك فرقة أخرى من الحاسيين تتفق وسائر الحاسيين في المعيشة والعادات والشرائع ولكنها تختلف عنهم في أمر الزواج . فإن أفرادها يرون أن الامتناع عن الزواج يقضي على القسم الرئيسي من الحياة البشرية ، على إمكانية التسلسل ؛ وإنه إذا قال الجميع بعدم الزواج قضي على الجنس البشري . وعلى كل حال فإن هؤلاء يمتحنون أزواجهم ثلاث سنوات فإذا وجدوهنّ من ذوات الحيض ثلاث مرات تزوجوا منهنّ فعلًا . ولكنهم لا يساكنونهنّ إذا كنّ حاملات ليبرهنوا على أنهم لا يتزوّجون لمجرد اللذّة بل لاجل التوالد . والنساء يذهبن إلى الحمامات لابسات بعض أثوابهنّ والرجال يتمنطقون . تلك هي عادات هذه الفرقة من الحاسيين

وجاء لهذا المؤرخ المعاصر نفسه في كتابه التاريخ القديم (١٣ : ٥) ما محصّله : وكان بين اليهود في هذا الزمان فرق ثلاث اختلفوا في موقفهم من أعمال الانسان وهم الفريسيون والصدوقيون والحاسيون . فقال الفريسيون بان بعض الافعال مقدرة لا كلها ، وان بعضها يقع تحت سلطتنا ، وان هذا البعض معرّض لمفعول القدر ولكنه ليس مسبباً عنه . أما الحاسيون فإنهم أكدوا ان القدر يتحكم في جميع الامور ، وأن شيئاً لا يحدث للبشر إلا بموجب سابق لتصميمه وتحديده . وأبطل الصدوقيون القدر وقالوا إنه غير موجود ، وان حوادث البشر ليست تحت تصرفه . وافترضوا أن جميع أفعالنا هي تحت مطلق سلطتنا وأننا نحن نسبب الخير ونقبل الشر بطيش منا

وقال يوسيفوس أيضاً في كتابه التاريخ القديم (١٨ : ١) : ان عقيدة الحاسيين هي هذه : إن لله مردّ الامور ، وان النفوس خالدة ، وان السعي لنيل جزاء الصلاح واجب . وعندما يرسلون بما يكرسون لله إلى الهيكل لا يقدمون الذبائح لأن لديهم

من التطهير ما هو أنقى وأفضل . ولهذا فإنهم يمنعون من الوصول إلى صحن الهيكل فيقدمون ذبائحهم بأنفسهم

ويضيف يوسيفوس في هذا الكتاب نفسه (١٥ : ١٠) انه قام بين الخاسيين رجل كان يدعى مناحيم، وانه سار سيرة ممتازة، وان الله منحه موهبة التنبؤ، وان هذا الرجل شاهد هيرودس حينما كان لا يزال ولداً ذاهباً إلى المدرسة فحيَّاه ملكاً على اليهود. ولم يلتفت هيرودُس آنئذ إلى ما قاله مناحيم لانه لم يكن لديه أي رجاء في هذا التقدم . ولكنه لما أسعده الحظ وتقدم إلى رتبة الملك وأصبح في الطليعة استدعى مناحيم وسأله كم يدوم ملكه . فلم يقل له مناحيم عن مدى مُلكه شيئاً . فسأله هل يملك عشر سنوات أم لا ؟ فأجاب : عشرين لا بل ثلاثين سنة ؛ ولكنه لم يحدّد انتهاء المُلك . فسُرّ هيرودُس من هذه الاجوبة وأعطى مناحيم يده وأمره بالخروج . ومنذ ذلك الحين استمرّ في احترام الخاسيين

وفيلون الاسكندري الذي صنف في حوالي السنة ٢٠ بعد الميلاد ذكر الخاسيين في الاسكندرية وفرّق بينهم وبين الثيرابغتيين (الآسيين) فجعل من هؤلاء فرقة متأملة ومن أولئك فرقة عاملة . وجعل عددهم أربعة آلاف . وقال إنهم ينبذون الاسترقاق ويبتعدون عن القسم ويعنون بالناحية الادبية من شرائع آبائهم ويؤثرون التأويل ويعيشون جماعات جماعات بصندوق واحد مشترك ووجبات واحدة من الطعام، وانهم اشتهروا بالاقتصاد والتواضع والمحبة والاخوّة [١]

أخبار الزمان

وكان ما كان من أمر الاسكندر وداريوس في إسوس وغوغملة . ودالت دولة الفرس واستولى الاسكندر عليها فدخلت فلسطين في طاعته في السنة ٣٣٢ قبل الميلاد . فأبقى الاسكندر الحاكم الفارسي في منصبه في السامرة، وعين اندروماخوس المقدوني قائداً الى جانبه . ولم يذهب الى اوروشليم ولم يقدم الذبائح في هيكلها كما

(١) *Philon* : Quod Omnis Probus Liber, (Colson, F. H.) 140 : 9, pp. 53-63 ; *Danielou, J* : Philon d'Alexandrie, (1958), 42-57

شاع في ما بعد[1] . ثم قضى الاسكندر في بابل في السنة ٣٢٣ فنشب عراك هائل لم يكن يخمد قليلاً إلا لينشب من جديد اضمحلت في اثنائه اسرة الاسكندر ووالدته معها وقامت بين الطامعين حروب دامية فانقسمت مملكة الاسكندر الى ثلاثة اقسام في اوروبة وآسية وافريقية ، ورأس كل قسم منها احد قواده او خلفائه . فاستولى على مقدونيةَ انتيغونوسُ حفيد انتيغونوس القائد الكبير. وكان نصيب القائد ساوقوس معظم ما كان يُعرف قبلاً بمملكة الفرس في آسية؛ ونصيب بطليموس ، ادهى قواد الاسكندر ، بلاد مصر في افريقية. وتنازع السلاقسة والبطالسة حكم سورية الجنوبية « المجوفة » ومنها فلسطين . فحكمها البطالسة قرناً كاملاً من الزمن هو القرن الثالث قبل الميلاد . وتساهل البطالسة وتسامحوا فأحبهم اليهود وأمّوا عاصمتهم الاسكندرية وتكاثروا فيها . واقبلوا على تعلم اللغة اليونانية وآدابها وبرع بعضهم بها . وتناسوا العبرية فاضطروا الى نقل اسفارهم المقدسة الى اليونانية فكانت الترجمة السبعينية في عهد بطليموس فيلادلفوس ، في اواسط القرن الثالث قبل الميلاد (٢٨٥ — ٢٤٦) .

السلاقسة واليهود

واستغل انطيوخس الثالث العظيم ظروف البطالسة الداخلية فاكتسح سورية الجنوبية « المجوفة » باكملها ، وأدخل ، في حوالي السنة ١٩٨ قبل الميلاد ، فلسطين في طاعته . وخلفه سلوقوس الرابع (١٨٧ — ١٧٥) فانطيوخوس الرابع (١٧٥ — ١٦٤) . ومضى هذا في سياسة التهلين التي اختطها الاسكندر نفسه وحاول تطبيقها كثيرون من خلفائه في الشرق . فحض على التخلق باخلاق اليونان وعلى اقتباس الكثير من عاداتهم وعلومهم وفنونهم ، وعلى احترام آلهتهم . وحاول تهلين اليهود في فلسطين « فخرج من هؤلاء ابناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين : هلموا نعقد عهداً مع الامم حولنا فإنّا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة ». فحسن هذا الكلام في عيون البعض وبادروا يصنعون بحسب احكام الامم[2]. ونمي انطيوخوس درجة تمسك اليهود بسننهم

---

(١) *Josephus*, Ant. Jud., XI, 8 ; *Glotz, G.*, Alexandre et le Démembrement de son Empire, (1945), 88 ; *Tarn, W. W.*, Conquest of Persia, Cam. Anc. Hist., VI, 376.

(٢) سفر المكابيين الاول ١ : ١٢ - ١٣ .

وتقاليدهم ودينهم ، وفاته ما قاله هامان لاحشوروش الملك الفارسي انهم على انتشارهم وتفرقهم لا يحفظون سنن الملك[1]. فلما كتب انطيوخوس الى اورشليم ومدن يهوذا ان يبتنوا مذابح وهيا كل ومعابد للاصنام وان يذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة، ويتركوا بنيهم قُلفاً ، ويعذروا نفوسهم بكل نجاسة[2] خرج متتيا بن يوحنا بن سمعان من اورشليم وسكن في مودَين . ثم قدم الى مودين من ارسلهم الملك السلوقي ليجبروا الناس على الذبح للآلهة ، واقبل رجل يهودي على عيون الجميع ليذبح على المذبح الذي في مودَين فوثب عليه متتيا الكاهن وقتله على المذبح وقتل رجل الملك ايضاً ، وصاح بصوت عظيم قائلاً كل من غار للشريعة وحافظ على العهد فليخرج ورائي . وهرب هو وبنوه ، يوحنا كدّيس وسمعان بِطَّي ويهوذا المكابي واليعازر أواران ويوناثان أَفوس ، الى الجبال . فبدأت بذلك ثورة المكابيين[3] (١٦٥ — ١٣٥) قبل الميلاد . وتزعمها ابناء متتيا يهوذا فيوناثان فسمعان . وشغلت السلوقيين مشاغل اخرى فتمكن سمعان من تحرير فلسطين وشعبها .

وفي السنة الثانية لزعامة سمعان (١٤٢ — ١٣٥) نادى اليهود به كاهناً اعظم وقائداً عاماً واميراً يورث حقوقه وصلاحياته لابنائه واحفاده من بعده ، فأسس سمعان بذلك الاسرة الحشمناوية اي اسرة بني حشمناي . ويلاحظ هنا ان هؤلاء لم يكونوا من سلالة داود من حيث الملك ولم يتحدروا من هارون من حيث الكهنوت . وعرف اليهود هذين الامرين حق المعرفة فاحتاطوا وجعلوا ملك هؤلاء محدوداً حتى الزمن الذي يظهر فيه نبي امين ، اي حتى الزمن الذي يتدخل فيه رب العالمين .

ولم يرضَ جميع اليهود عن هذا التدبير لخروجه على التقليد ، وازداد عدد هؤلاء المعارضين بتغافل الحشمناويين وقلّة اكتراثهم للناموس . فإنهم ما كادوا يستوون على دست الحكم حتى رغبوا في الدنيا واستبدوا في الناس . فأعلن الفريسيون استياءهم منذ ايام يوحنا هيركانوس ، ابن سمعان المؤسس وذلك بين السنة ١٣٥ والسنة ١٠٤ قبل

---

(١) سفر استير ٣ : ٨ .
(٢) سفر المكابيين الاول ١ : ٤٦ - ٥٦ .
(٣) سفر المكابيين الاول الفصل الثاني .



هكذا يعمل العلماء لجمع القطع المتناثرة

الميلاد . وما فتئوا متنكرين حتى عهد ألكسندرة الملكة (٧٦ — ٦٧) قبل الميلاد .

وراقب السلوقيون تطور الموقف فعاد انطيوخوس السابع (١٣٨ — ١٢٩) الى الميدان قبل وفاة سمعان المؤسس واكره ابنه يوحنا هيركانوس ، في السنة ١٣٥ ، على دفع الجزية وعلى هدم اسوار اوروشليم . ثم خلف انطيوخوس سلوقي ضعيف هو ألكسندروس الثاني زبيناس (١٢٨ — ١٢٣) فاستعاد يوحناً هيركانوس استقلاله ووسع سلطانه ، وانشأ جيشاً من المرتزقة ، وتصرف تصرّف امير زمني بكل معنى الكلمة فزاد الفريسيين غضباً و كرهاً . وجاء ابنه أرسطوبولوس بعده فأظهر التكبر والتجبر ولبس التاج فقنط الفريسيون وتقلص ظلُّ آمالهم . وكان ارسطوبولوس قد قيَّد أخاه ألكسندروس وأمّه ، فلما توفي نزع الجند عن اخيه القيد واخرجوه من الحبس فتولّى الملك بعد أخيه . ولما استقام له الامر (١٠٣ — ٧٦) تشوّف الى المطامع البعيدة ، وأحب النزال والقتال فكان لا ينتهي من حرب حتى يبدأ بغيرها فأغبرَّ الجو بينه وبين الفريسيين وتقوّضت دعائم المودة . وحل عيد المظال ودخل ألكسندروس الى اوروشليم وصعد الى المذبح في وقت القربان . فابتدأ قوم من اليهود يلعبون بسعف النخل ورمي الترنج ، وهو نوع من الليمون ، فأصابت ترنجة الملك ألكسندروس فغضب أصحابه وقالوا للفريسيين كيف جسرتم على الملك بهذا ! فقالوا ما فعلنا ذلك تهاوناً به ولا جرى منا بالقصد . وهذا اللعب هو سنَّة العيد والمقصود به الفرح والابتهاج . فلم يقبل الملك واصحابه هذا الاعتذار لما في نفوسهم من عداوة للفريسيين . وتردد الكلام بينهم الى ان شتم بعضهم ألكسندروس وأسمعه القبيح . فغضب الملك وأمر بالفريسيين فقُتل منهم في ذلك اليوم ستة آلاف رجل . وأمر ألكسندروس بعد ذلك ان يُبنى حائط يقطع ما بين المذبح والصحن وان لا يقترب من المذبح سوى الكهنة وخواص الأمة . فتأصلت العداوة بين الفريسيين والصدوقيين ، وعضد ألكسندروس الملك الصدوقيين ، واتصل النزاع بينهم ست سنين قُتل فيها من الفريسيين خمسون الف رجل . ثم حاول ألكسندروس ان يؤلف بينهم ويصلح احوالهم فلم يتمكن . حينئذٍ طلب الفريسيون معونة السلوقيين فسار ديمتريوس الثالث افكيروس « Eukairos » ، المالك آنئذ في دمشق ، في جيشه مع من انضاف اليه من اليهود الى ان نزلوا على شكيم (نابلس) . فخرج اليه ألكسندروس فهزمه ديمتريوس في حوالي السنة ٩١ قبل

الميلاد وقتل اكثر رجاله . فهرب ألكسندروس الى بعض التلال «وجاء اليه كثيرون من اليهود الذين مع ديمتريوس» . فلما صار في عسكر كبير سار الى ديمتريوس فرده الى سورية . ثم عادت الحروب بين ألكسندروس وبين الفريسيين فهزمهم وقتل كثيراً منهم وأخذ من كبراء الفريسيين ووجوههم ثمان مئة رجل فقتلوا وصلبوا بين يديه واستولى بعد ذلك على جميع اليهود وقهرهم[1] .

ثم اعتلّ ألكسندروس بحمّى الربع فدامت عليه ثلاث سنين فنهكت جسمه . ولما بلغه ان بعض المدن التي تحت طاعته عصت عليه سار لمحاربتها وهو عليل ، وحمل معه امرأته ألكسندرة وكل حشمه وجواريه فنزل على راجب بين جرش والاردن وحاصرها . وقويت عليه علّته وقرب منه أجله فنصح الى زوجته ان تخفي موته الى بعد فتح المدينة وان تعود الى اوروشليم وتحمل جثته الى قصره سرّاً وتستدعي وجوه الفريسيين وتكرمهم وتخاطبهم بالجميل وتقول انها عالمة بعداوته لهم وبما فعله بهم ولكنها لهم من بعده تفعل كما يختارون ولا تخالفهم بشيء . ومات ألكسندروس (٧٦) وفعلت ألكسندرة كما اوصاها فأجاب الفريسيون بالجميل ودفنوا زوجها مع آبائه فاستمالوا القوم الى ألكسندرة ، واشاروا ان يملكوها بعده فاستقام امرها حتى السنة (٦٧) قبل الميلاد بمعاونة الفريسيين .

واطلقت ألكسندرة جميع من كان من الفريسيين في السجون وردت اليهم تدبير الناس وتمسكت بمذهبهم . وجعلت ابنها الاكبر هيركانوس كاهناً اعظم لانه كان متواضعاً وديعاً خيّراً ، وجعلت اخاه ارسطوبولوس وهو الاصغر صاحب الجيش ، ولما قوي أمر الفريسيين جاءوا الى ألكسندرة ومعهم ابنها هيركانوس وطلبوا اطلاق يدهم في قتل رؤساء الصدوقيين لان ما حلّ بهم من الاذى في عهد ألكسندروس كان برأي هؤلاء ، وهم الذين حملوه على قتل ثمان مئة شيخ فريسي وصلبهم . فقالت افعلوا . فقبضوا على كبير من الصدوقيين اسمه ذياخبيس ، وكان هو الذي حمل ألكسندروس على قتل الفريسيين ، فقتلوه مع جماعة أخرى . فجاء الصدوقيون الى ألكسندرة ومعهم

(١) *Josephus*, Antiq. XIII ; *Abel, F. M.*, Hist. de la Palestine, (1952), I, 232 - 234 .

ابنها ارسطوبولوس وقالوا انتِ تعلمين ما لقينا من الشدائد مـع زوجك فكيف تناسيتنا ! اننا لا نصبر على اذلال الفريسيين لنا ، فإماً ان تكفيهم عنا واما ان تطلق لنا الخروج من المدينة والتفرق في الضياع البعيدة . فقالت اخرجوا . فخرجوا وتفرقوا ثم توفيت في السنة ٦٧ قبل الميلاد[1] .

ولما مرضت ألكسندرة وأيس منها ارسطوبولوس ابنها الاصغر خرج من اوروشليم واستنهض الصدوقيين الى نصرته ومعونته على أخذ الملك . ففعلوا وجاء اليه من جبل لبنان وجبل الخليل وغيرهما من اليهود رجال كثيرون . فنزل بهم على الاردن فخرج اليه هيركانوس بجيش الفريسيين فتحاربا فانهزم هيركانوس فاصبح ارسطوبولس الملـك باسم ارسطوبولوس الثاني ، وامسى هيركانوس كاهناً أعظم .

ثم أفسد انتيباتروس بين هيركانوس وأخيه . وكان أنتيباتروس قد تولّى ادوم في عهد ألكسندروس ، وتزوج امرأة من أهل ادوم ولدت له من البنين اربعة : فزائيل وهيرودوس وفيروراس ويوسف . وقد اختُلف في أصله ، فمنهم من قال انـه من يهود بابـل ومنهم من قال انه كان عسقلانياً لا عبرانياً . وكان ذا عقل ورأي ، وشجاعة وبأس ، ودهاء وحيلة ومال . فلما مات ألكسندروس عزلتـه ألكسندرة فاقام في اوروشليم ونشأت مودة بينه وبين هيركانوس فحرّضه على أخيه ارسطوبولوس الملك قائلاً انه يسعى لهلاكه ، واشار عليه ان يخرج ويمضي الى الحارث ملك الانباط . فرحّب الحارث بالضيفين ومشى معهما على رأس خمسين ألفاً قاصداً ارسطوبولوس . فلما التقوا في السنة ٦٤ قبل الميلاد استأمن كثيرون من رجال ارسطوبولوس الى أخيه فهرب هذا ودخل اوروشليم وامتنع فيها . فقام الحارث وهيركانوس وانتيباتروس الى اوروشليم فنازلوا المدينة فاتصلت الحروب وعظمت الفتن . فانتقل كثيرون من اهل الخـير والسلام الى مصر .

وفي هذه الآونة ، في عهد ارسطوبولوس الثاني (٦٧ — ٦٣) قبل الميلاد أطلّت رومـة بشخص قنصلها بومبايوس تتدخّل تدخلاً فعلياً في شؤون السلاقسة واليهود .

(١) *Josephus*, Antiq., XIII : *Abel, F. M.*, op. cit., I, 239-242

فلصوص البحر كانوا قد غشوا البحر المتوسط با كمله. وكانت القحة قد بلغت بهم ان ظهروا عند مصب التيبر ينهبون ويحرقون ويخطفون بعض موظفي الحكومة في الطريق، على مسافة بضعة كيلومترات من رومة نفسها، واستولوا على الحنطة الواردة الى رومة من مصر وافريقية. فطهَّر بومبايوس غرب البحر المتوسط في أربعين يوماً، ثم أبحر الى الشرق فاستأصل في سبعة أسابيع شأفة اللصوص في بحر ايجه وخرَّب حياض سفنهم وحصونهم. وكان بعضهم قد اتخذ من بعض تعاريج شواطئ السلاقسة نقاط انطلاق للقرصنة. ومن هذه رأس الشقعة بين البترون وطرابلس. فرأى بومبايوس ان يحتل هذه الشواطئ وما جاورها احتلالاً نهائياً. فضرب في السنة ٦٧ متراداتس ملك البونط، في شرق آسية الصغرى، ضربة قاضية، وفي السنة ٦٦ تغرانوس ملك الارمن ثم اتجه شطر سورية وفلسطين. ووصل احد قواده سكوروس «Scaurus» الى دمشق في مطلع السنة ٦٣ قبل الميلاد. ثم تبعه بومبايوس في ربيع هذه السنة نفسها.

وكان اليهود قد عرفوا الرومان وفاوضوهم في شؤونهم منذ عهد يهوذا المكابي ويوحنا هيركانوس واعتبروهم اصدقاء وحلفاء. فقد جاء في سفر المكابيين الاول في حوالي السنة ١٠٠ قبل الميلاد، بعد وصف قوة رومة وبطشها، ان الرومانيين حفظوا المودة لاوليائهم والذين اعتمدوا عليهم، وان يهوذا فاوضهم ليثبتوه في جملة مناصريهم فحسن كلامه لديهم وارسلوا اليه كتاباً دونوه على ألواح من نحاس ليكون عند يهوذا وشعبه تذكاراً للمسالمة والمناصرة (١٢:٨ – ٢٣). فلما سمع اليهود بوصول سكوروس الى دمشق ارسل كل من هيركانوس وارسطوبولوس وفداً يفاوض في طلب المعونة. ولدى دخول بومبايوس الى دمشق وصل وفد يمثل الشعب اليهودي راجياً انهاء حكم الحشمناويين واعادة السلطة الى يد الكهنة. فأشار بومبايوس بالانتظار ريثما يكون قد قضى على الانباط. ولكن ارسطوبولوس احتار في امره ولم ينتظر. فزحف بومبايوس على اورشليم واستولى عليها عنوة في السنة ٦٣ وادخل فلسطين في ولاية حاكم سورية، وأمسى هيركانوس كاهناً أعظم. وقسَّم فلسطين الى خمس مقاطعات وجعل على رأس كل منها مجلساً يهودياً ولكنها ظلت مضطربة غير مستقرَّة.

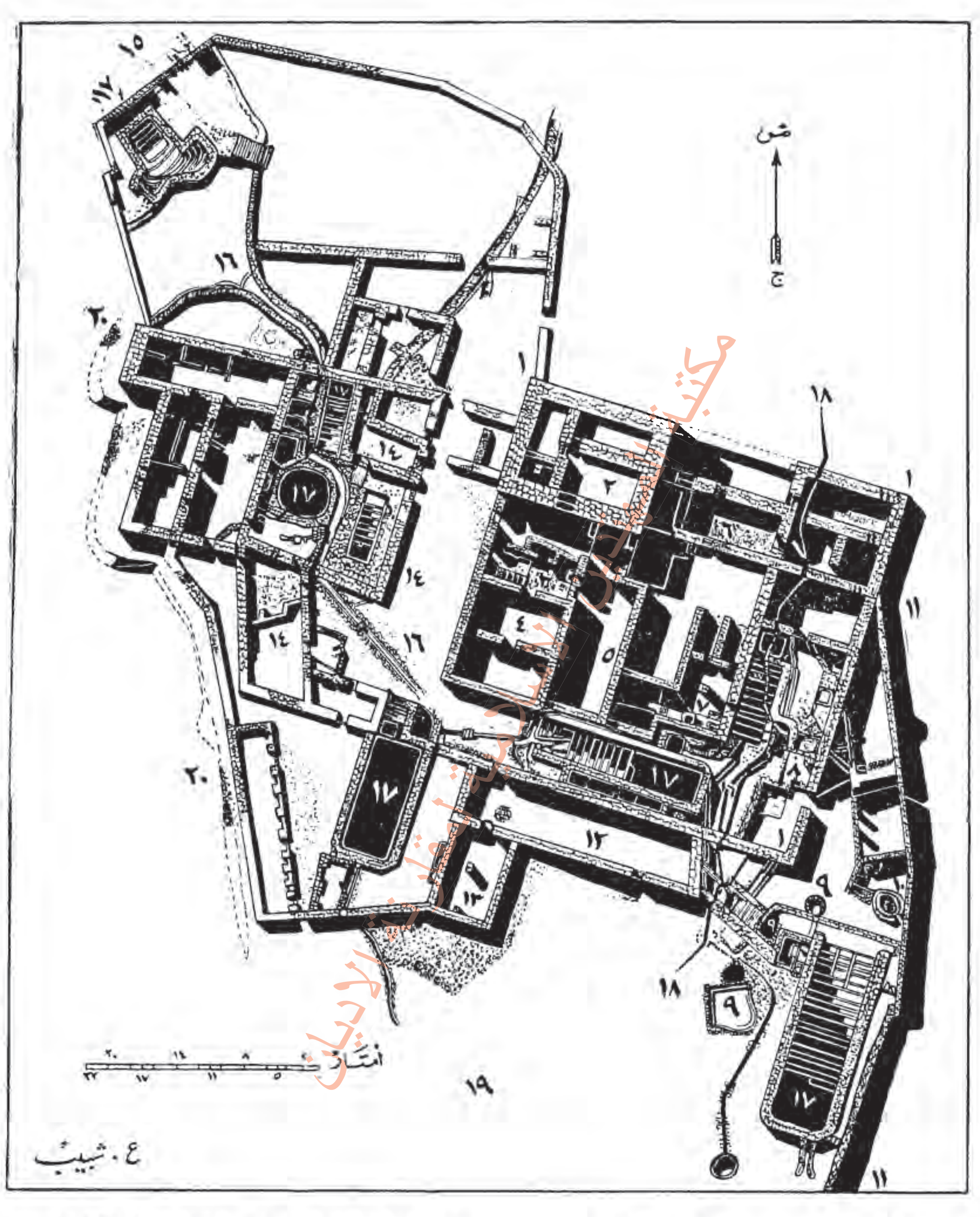
وجاءت الحرب الاهلية الرومانية في السنة ٤٩ قبل الميلاد وقتل بومبايوس في

السنة التالية فأيد هيركانوس وانتيباتروس يوليوس قيصر . فجعل يوليوس هيركانوس اميراً على فلسطين وأنتيباتروس حاكماً على اليهودية ذا سلطة على اليهود وغير اليهود . وأصبح هو حاكم البلاد الحقيقي فجعل ابنه افزائيل مدبراً لشؤون اليهودية وابنه هيرودوس حاكماً على الجليل . وكان ما كان من أمر يوليوس قيصر واغتياله في السنة ٤٤ قبل الميلاد فاستولى الفرت على فلسطين ثلاث سنوات وأنزلوا هيركانوس من رئاسة الكهنوت ، وجدعوا أذنيه ليظل مشوهاً غير صالح للكهنوت ، ونادوا بانتيغونوس بن ارسطوبولوس ملكاً فحكم البلاد من السنة ٤٠ حتى السنة ٣٧ قبل الميلاد .

وعاد الرومان الى الحكم فجعلوا هيرودوس بن انتيباتروس ملكاً فحكم فلسطين ثلاثاً وثلاثين سنة (٣٧ — ٤ ق. م.) وكان هماماً نشيطاً مدبراً منظِماً مواصلاً مداهناً فعظم أمره واتسع سلطانه وازدهر ملكه فلقب بالكبير . وهو الذي امر بذبح الاطفال وفي عهده ولد السيد المسيح في بيت لحم . وجاء بعده ابنه ارخيلاوس فحكم اليهودية والسامرة وأدوم بدون لقب ملك . وانتهى حكمه الفاسد في السنة ٦ بعد الميلاد بناء على طلب الشعب ونفي . وأصبحت فلسطين ولاية رومانية عادية ، وما فتئت كذلك حتى السنة ٤١ بعد الميلاد . وفيها اصبح اغريبا ملكاً على اليهود فدام ملكه حتى السنة ٤٤ .

وشق اليهود الطاعة على رومة في السنة ٦٦ بعد الميلاد وامتنعوا في أوروشليم فدكّت رومة حصون المدينة في السنة ٧٠ ودمرتها تدميراً . ثم عاد اليهود الى العنف في السنة ١٣٢ بقيادة باركوزبنة ، ثم استسلموا صاغرين في السنة ١٣٥ بعد الميلاد وما فتئوا مشتتين حتى وعد بلفور في الحرب العالمية الاولى .

هذه لمحة خاطفة من تاريخ اليهود في القرنين الاخيرين قبل الميلاد وفي القرن الاول بعده . وهي في حد ذاتها كافية لاظهار تفكك اليهود في هذه الحقبة من تاريخهم ، وتبيان درجة التشويش والفوضى في صفوفهم ، وكيف تعارضت اهواؤهم وتشعبت آراؤهم وتباينت مذاهبهم فأصبحوا لا تجمعهم جامعة ولا يستقيمون على وجه يعتمدون عليه . وخاب رجاء الصالحين منهم وأخفقت آمالهم ولم يبقَ لهم في البشر رجيّة فباتوا ينتظرون عملاً إلهياً ، مسيحاً يوطد اركان ملكوت الله على الارض ، وأمست نبوات الانبياء ولا سيا اشعيا وحبقوق أحب ما في الأسفار اليهم .



١ : زوايا الحصن
٢ : البرج
٣ : السلم
٤ : غرفة الطعام
٥ : المكتبة

٦ : المطبخ
٧ : الدباغة
٨ : المغسلة
٩ : الفاخورة
١٠ : افران الفاخورة

١١ : الحائط عند المقبرة
١٢ : قاعة الاجتماع
١٣ : خزانة الاواني
١٤ : المصانع
١٥ : اتصال الاقنية

١٦ : القناة الرئيسية
١٧ : الصهاريج
١٨ : شق الزلزال
١٩ : الساحة الجنوبية
٢٠ : الحائط الركن الغربي

الفصل الرابع

المكشوف على ضوء المعروف

خرائب اخوية منظمة

وليست خرائب قمران خرائب قرية فلسطينية عادية تتألف من عدد كبير او قليل من المساكن العائلية والابنية العمومية والاسواق والباحات والازقة . وانما هي بقايا مؤسسة جماعية لها شبكة مياه متعددة الفروع ولكنها منسقة مرتبة ومعدّة لتأمين المياه لعدد كبير من الافراد في وقت واحد . فهنالك الخزانات والصهاريج والاقنية والاحواض والاجران المختلفة ، وجميعها مربوط بعضه ببعض مُعَدٌّ لعمل مشترك. وهنالك المشاغل لصنع الاواني واعداد ما يلزم لجماعة من الناس منكفئة على نفسها منعزلة عن الغير : مواخير ومصانع لتطريق النحاس وللحدادة ، ومطاحن وافران ومخازن للاعاشة. وهنالك المغاسل المشتركة والمطبخ وغرفة الطعام وغرفة الكتابة وقاعات الاجتماع . وفي المقبرة ما يؤيد هذه الحياة الاخوية المشتركة ، فهي تختلف عن سائر مقابر هذه الفترة وفيها ما يدل على اتباع خطة معينة في التكفين والتوجيه والدفن .

وفي موقع هذه الخرائب ما يتفق كل الاتفاق مع ما جاء في كلام بلينيوس الاكبر عن جماعة من الحاسيين اقاموا في هذا المحل نفسه في عصر بلينيوس اي في القرن الاول بعد الميلاد . فما يقوله عن هؤلاء لا ينطبق الا على أخوية قمران . فليست هنالك اية خرائب أخرى بين عين جدي واريحا تصح عنها ملاحظاته سوى خرائب قمران وقد أوردنا ما قاله في فصل سابق فليراجع في محله .

الكهوف مساكن ومخابئ

وليس في خرائب قمران مساكن أو غرف للنوم . فلا بد والحالة هذه من مساكن

وغرف يأوي اليها افراد هذه الاخوية . وقد تبين مما تبقى في الكهوف المجاورة من أدوات ما يدل على انها كانت في زمن الاخوية مساكن يلجأ اليها هؤلاء النساك . ولا يمنع هذا القول وجود خيام أو أنواع أخرى من المساكن بالاضافة الى الكهوف

ولا يرى رجال الاختصاص رأي سوكينيك العالم اليهودي، فلا يعتبرون هذه الكهوف « جنازات » حُفظ فيها ما اهمل من الاسفار . فإن ما وجد فيها كثير جداً يفوق عدده ما يُهمل فيحفظ، وفيها أيضاً من المخطوطات ما لا علاقة له بالاسفار وما لا يستوجب الاهمال والاستيداع والتجنيز . وهم يرجحون ان الدروج والمخطوطات حُملت الى هذه الكهوف وخبئت بها لدى خروج اليهود على الرومان واعلان ثورتهم الكبرى في السنة ٦٦ بعد الميلاد

دروج التوراة

وربع ما وجد من المخطوط كتابيّ يتضمن الأسفار التي اعتبرها يهود فلسطين مقدسة قانونية منذ القرن الاول بعد الميلاد . ولا ينقصها سوى سفر استير . وهنالك نسخ متعددة من نبوة اشعيا والمزامير والانبياء الصغار وتثنية الاشتراع تُربي على العشرة وبعض ما وجد من هذه النسخ قريب في عمره من النسخ الام كدرج دانيال (ق ٤) الذي يعود الى نصف قرن فقط بعد ظهور السفر (١٦٤ ق . م) . وما وجد من سفر الجامعة في (ق ٤) لا يبعد من حيث تاريخ نسخه اكثر من مئة سنة عن زمن ظهور هذا السفر، وهذا التقارب في العهد بين ما وجد من نسخ وبين الامهات التي نقلت عنها أمر نادر بعيد الوقوع حتى في برديات مصر

ومما يلفت النظر ويثلج الصدر، ولاسيما صدر القديس الفيلسوف يوستينوس النابلسي، عثور المنقبين على مقاطع من نصوص الأسفار الخمسة تؤيد يوستينوس في محاورته الشهيرة مع تريفون اليهودي في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد . فقد عثر المنقبون في كهف قمران الرابع على نص من سفر الخروج يقرب كثيراً من النص السبعيني . فالنفوس الخارجة من صلب يعقوب في مصر في هذا النص خمس وسبعون لا سبعون فقط كما في توراة اليهود « المسوَّرة » . وهي خمس وسبعون في خطاب اسطفانوس

الشهيد الاول (اعمال ٧ : ١٤). وما لا نجده من نشيد موسى، في العدد الثالث والاربعين من الفصل الثاني والثلاثين، من سفر تثنية الاشتراع مما جاء في النص السبعيني نجد معظمه في نص من نصوص التثنية الذي وجد في كهف قران الرابع[1]

أسفار النبوات الاولى

وما وجد من أسفار يشوع والقضاة وصموئيل وأخبار الملوك في كهوف قران الاول والرابع والخامس والسادس مستمد جميعه من أصل تحدرت منه الترجمة السبعينية أيضاً ومما تجدر إليه الاشارة هنا هو ان نص سفر صموئيل الذي وجد في كهف قران الرابع الذي يشار اليه بـ (ق ٤ صموئيل ب) الذي يعتبر في نظر الثقاة اقدم نصوص العهد القديم خطاً هو أيضاً اقرب بكثير الى نص الترجمة السبعينية منه الى نص التوراة المسوَّر[2]

اسفار النبوات المتأخرة :

ونبوات أشعيا وارميا وحزقيال والاثني عشر ممثلة جميعها تمثيلاً حسناً في كهوف قران . فقد وجد المنقبون درجين كاملين لنبوة أشعيا . وبينما ترى نص الدرج الثاني (١ ق ١ ش ب) يمت بصلة قوية الى النص المسوَّر وكذلك نصوص المقاطع الاثني عشر التي وجدت في الكهف الرابع القمراني نجد نص الدرج الاول (١ ق ١ ش ١) يختلف عن النص المسوَّر في امور أهمها سهولة قراءته وفروقات في التهجئة وتركيب الجمل وترتيب النص وتنظيمه . وأهم من هذه وتلك فرق واضح بين نص قديم ونص متأخر يظهر بفراغ من الكتابة عند الانتهاء من الفصل الثالث والثلاثين، وباستعمال رق جديد لما يلي من الفصل الرابع والثلاثين وغيره[3] . ويظهر أثر النص السبعيني في بعض قطع من نبوة ارميا عني بها العلامة الدكتور كروس

---

(١) *Milik, J. T.*, Dix Ans, 24

(٢) *Cross, F. M.*, A Manuscript of Samuel in an Archaic Jewish Bookhand from Qumran : 4 Q Sam[b], Jour. Bib. Lit., 1955, 165 - 172

(٣) *Burrows, Trever, and Brownlee,* The Isiah Manuscript and the Habbakuk Commentary, (1950).

أيوب ودانيال والمزامير

وقد وجد سفر أيوب في نسختين احداهما بالخط المربع المتأخر، والاخرى بالخط العبري القديم. واذا كانت النسخ الامهات قد كتبت بهذا الخط القديم فانه سيسهل عندئذٍ حل بعض مشاكل النص المسوّر. وقد وُجدت أيضاً نسختان من سفر دانيال في كهف قران الاول، واربع في الكهف الرابع، وواحدة في الكهف السادس. وجميعها يقارب النص المسوّر ولكنها تظهر أيضاً أثر النص القديم الذي تحدر منه النص السبعيني. وهنالك بقايا نسخ أخرى يظهر فيها الانتقال من النص العبري الى الآرامي ومن الآرامي الى العبري. وهنالك أيضاً بقايا دروج عشرة من المزامير. وليس في معظمها سوى نص المزمور المئة والتاسع عشر. وهنالك درج واحد جاءت المزامير فيه بترتيب يختلف عن الترتيب المسوّر[١]

كتب التلاوة

تسمى أيضاً الكتب القانونية الثانية Deuterocanoniques، ويعتبرها اليهود دخيلة. إن يهود قمران عرفوا هذه الكتب واقتنوها ورجعوا إليها. ودليلنا على ذلك ما نجده منها بين محتويات الكهوف. فهنالك ثلاث نسخ من سفر طوبيا: اثنتان منها بالعبرية وواحدة بالآرامية يعنى بها الآن الأب ميليك. وهي أقرب في نصوصها إلى الفيتوس اللاتينية Vetus Latina منها الى النص السينائي Codex Sinaïticus. ويميل الاب ميليك الى الاعتقاد بأن بعضها جاء أولا بالآرامية[٢]. ويعنى الأب بايي Baillet ببعض قطع من الدروج وجدت في كهف قمران الرابع. وهو يرى ان بعضها يعود الى الفصل السادس من سفر يشوع بن سيراخ، ويرى أن هذا البعض يتفق مع ما وجد من نوعه في جنازة القاهرة. ويضاف الى هذا كله بعض مقاطع من رسالة ارميا جاءت باليونانية ووجدت في كهف قمران السابع[٣]. وقد وردت في السبعينية مضافة الى كتاب باروك

---

(١) *Cross, F. M., et Skehan, P.*, Textes Bibliques de la Grotte 4, Rev. Bib., 1956, 56 - 60.

(٢) *Milik, J. T.*, Dix Ans, 29.

(٣) Rev. Bib., 1956, 572.

الاسفار المنتحلة الدخيلة

ورجع يهود قمران الى اسفار نُسبت الى غير مؤلفيها الحقيقيين فأمست عند اليهود فيما بعد وعند الآباء المسيحيين pseudepigrapha أي منسوبة الى غير مؤلفيها الحقيقيين، وبالتالي ابوكريفية apocrypha أي من النوع الذي تجب تجنبته . ولا يخفى ان الانتحال في اللغة هو في الاصل عكس ما تقدم . نقول انتحل فلان شعراً اذا ادعاه لنفسه وهو لغيره . وقولنا ان هذه الاسفار منتحلة هو في حد ذاته توسع تدفعنا اليه الحاجة الى اصطلاح يؤدي معنى الا pseudepigrapha وعند القول ان سفراً من الأسفار هو من نوع الابوكريفة نحكم بوجوب ابعاده وعدم الرجوع اليه . ومن هنا قولنا انه سفر دخيل أي غير أصيل

وأهم الأسفار الدخيلة على العهد القديم ، في عرف الآباء المسيحيين من شرقيين وغربيين وفي عرف أحبار اليهود ، هي سفر اليوبيلات وسفر أخنوخ ورسائل البطاركة . وكتاب اليوبيلات أو « سفر التكوين الصغير » الذي عرفناه في ما مضى بالحبشية واللاتينية نعرفه اليوم بفضل اعمال الكشف في قمران باللغة العبرية . وهو يتفق مع النص الحبشي وبالتالي فإنه خالٍ من أي دس مسيحي عليه . وقد وجد المنقبون قطعاً من نسخ متعددة منه في كهوف قمران الاول والثاني والرابع[1]. وهو يبحث في أصل « الشعب المختار » منذ البدء حتى الظهور في سيناء . ويجيء في تسع واربعين حقبة تشمل كل واحدة منها اخبار تسع واربعين سنة فيصبح يوبيل اليوبيلات نسجاً على ما جاء في سفر الأحبار (٢٥ : ١١) . وهو يهدف الى تبيان قدسية الناموس وقدم عهده ورجوعه الى عهد البطاركة الاولين لا بل الى الازل في القدم، الى الله في السماوات . ويرى رجال البحث انه من تصنيف يهودي محافظ من أعيان القرن الثاني قبل الميلاد[2]

وعاد يهود قمران أيضاً الى سفر أخنوخ . فقد عثر المنقبون في كهف قمران الرابع على حوالي عشر قطع مختلفة من هذا المصنف . وقد جاءت بالآرامية . وسفر اخنوخ

(١) Qumran Cave I, 17, 18.

(٢) *Charles, R. H.*, Apocrypha and Pseudepigrapha, (1913), II, 1-82; *Tisserant E.*, Rev. Bib., 1921, 55-86; *Milik, J. T.* Dix Ans, 29-30.

كما عرفناه قبلاً بالحبشية كشكول من الرؤى يعود الى القرنين الاخيرين قبل الميلاد ويبحث في أصل الشر والفساد وفي الملائكة والشياطين وفي جهنم والنعيم . وقد قسّمه العلّامة شارل الى خمسة أقسام مختلفة فرأى في فصوله الستة والثلاثين الاولى مادة مأخوذة من سفر نوح . وجعل من فصوله السابع والثلاثين حتى الحادي والسبعين قسم الامثال والتشبيهات، ومن فصوله الثاني والسبعين حتى الثاني والثمانين كتاب الكواكب، ومن فصوله الثالث والثمانين حتى التسعين رؤى الاحلام، ومن فصوله الحادي والتسعين حتى المئة والرابع رؤيا الاسابيع[1] . وهنالك اشياء من القسمين الاول والرابع في خمس قطع من مخلفات الكهف الرابع . وقد جاءت نصوصها الآرامية اضبط مما جاء في قطع اربع أخرى تضمنت أخبار الكواكب . والقطعة العاشرة لا تزال قائمة بذاتها لضآلة ما تبقى منها . ويرى الأب ميليك ان عدم وجود أي أثر من آثار الامثال والتشبيهات يوجب القول ان واضعه من المسيحيين اليهود من اعيان القرن الثاني بعد الميلاد[2] . ويرى الاب مارتن Martin الكاثوليكي والاستاذ لودز Lods الانجيلي والبحاثة الاسكندينافي موفينكل Mowinckel إن سفر اخنوخ هو من نتاج اليهود وحدهم[3] . ونحن نرى انه ليس من العلم بشيء ان نتسرع في الاستنتاج فنحكم بشيء قبل تناصر الادلة عليه . والواقع ان الدليل في الحالتين ضئيل يوجب ارجاء البت

وتوقع العلماء الباحثون، لدى بدء العمل في قران، ان يعثروا على نص « عهود البطاركة » بالعبرية أو الآرامية نظراً لما لمسوه في النص اليوناني من آثار الحاسيين . وترقبوا وانتظروا فلم يجدوا شيئاً مما صوره لهم الظن . وجل ما عثروا عليه حتى الآن هو بعض مراجع يمكن ان يكون واضع « هذه العهود » قد اعتمدها . فهنالك قطعة من مخلفات الكهف الاول وبعض قطع من مكتشفات الكهف الرابع كتبت بالآرامية ونسبت الى لاوي . وهذه القطع تتفق مع ما كان قد وجد في جنازة القاهرة قبل

(١) *Charles, R. H.*, op. cit., II, 163 - 277.

(٢) *Milik, J. T.*, Dix Ans, 31.

(٣) *Martin, F.*, Le Livre d'Henoch, (1906); *Lods, A.*, Hist. de la Lit. Hebraïque et Juive, (1950), 880 - 882; *Mowinckel, S.*, He That Cometh, (1956), 354 f.

نصف قرن . ومما عثر عليه أيضاً شيء من صلاة نسبت الى يعقوب ، وبعض التعليات في تقديم الذبائح ، ونص عبري نسب الى نفتالي[1]

والبطاركة هم أولاد يعقوب الاثنا عشر . والعهود هي ما اوصوا به اولادهم وأحفادهم قبل وفاتهم كما فعل يعقوب نفسه ، وعلى غرار ما جاء من كلامه في الفصل التاسع والاربعين من سفر التكوين . وكانت هذه العهود قد حفظت باليونانية وبالارمنية والسلافية . وكان روبرتوس اسقف لنكولن Lincoln ، في القرن الثالث عشر عُني بهذه العهود بلغتها اليونانية وأعد نصاً لاتينياً لاقى ترحيباً في الاوساط المسيحية آنئذٍ . ثم ترجم هذا النص الى الافرنسية في السنة ١٥٥٥ ونشر في باريز . وعاد غرابي Grabe في القرن السابع عشر الى النص اليوناني فنشره في السنة ١٦٩٨ وقال عنه انه نص يهودي يعود الى ما قبل الميلاد ولكنه يحمل أثر دسٍّ مسيحي[2] . ثم جاء الأب مين Migne في السنة ١٨٥٦ فقال في معجم الابو كريفه انه يتراءى له ان هذا النص يعود الى القرن الاول او اوائل القرن الثاني بعد الميلاد ، وان واضعه هو يهودي دخل في النصرانية فجعل ابناء يعقوب يقولون ما يؤيد ظهور المسيح . وعالج هذا الموضوع نفسه العلامة الانكليزي روبرت شارل في اوائل القرن العشرين فأيد يهودية هذا السفر وحصر الدس المسيحي فيه ببعض العبارات الخريستولوجية

وظهر في السنة ١٩٥٣ كتاب يونغ Jonge الهولندي ، وجاء مؤيداً لما كان قد ذهب إليه الأب مين وناقض شارل فقال بأن عهود البطاركة من آثار يهوديٍّ متنصر اعتمد نصوصاً يهودية قديمة فجعل منها سفراً جديداً يؤيد به دينه الجديد[3] . ورأى الأب ميليك رأيه فقال ان صاحب عهود البطاركة كصاحب سفر أخنوخ اعتمد عهد لاوي أو عهد نفتالي أو ما شابهها فصنف عهود البطاركة . وهو مؤلف واحد للعهود جميعها كما نعرفها في نصها اليوناني بدليل وحدة التخطيط . فلكل عهد من هذه العهود مقدمة

(١) Qumran, Cave I, 21, Rev. Bib., 1955, 398-406, 1956, 66.

(٢) *Spicilegium Patrum*, (Oxford) I, 145-253.

(٣) *Jonge, M. de*, The Testaments of the Twelve Patriarchs. A Study of Their Text, Composition and Origin, (Assen, 1953).

تاريخية، وباب فيه حض على الفضيلة، وخلاصة تتوقع مجيء مسيح واحد «لا مسيحين» وتتضمن رؤيا[١]

ويؤثر دوبون صومر Dupont-Sommer ، الاستاذ الفرنسي، القول بأن هذه العهود هي من آثار الحاسيين لوجود ما يماثلها في كهوف قمران وفي وثيقتي دمشق ولاسيما وان في هاتين الوثيقتين ما يشابه عدداً كبيراً من سائر عهود البطاركة كزبلون ودان ويوسف وبنيامين[٢]. ولكنه لا ينكر امكانية دس مسيحي متأخر[٣]

أسفار منتحلة أخرى

ومن مخلفات كهف قمران الاول درج آرامي مخزوم ضاعت فصوله الاربعة الاولى. وهو فيما يظهر توسع في الفصول الخمسة عشر الاولى من سفر التكوين . ومن هنا تعريفه بالتكوين المنتحل . وقد عني به افيغاد Avigad ويادين Yadin فنشرا ما تيسر منه في العبرية والانكليزية في السنة ١٩٥٦[٤]

ومن الاسفار القمرانية المنتحلة سفر ينسب الى ارميا تبقت منه بقايا مختلفة ولا يمكن ربطه لا بارميا نفسه ونبوته ولا بأمين سره باروك . وهنالك أيضاً بقايا من سفر يدعى ترانيم يشوع وسفر آخر يعرف برؤيا عمران أبي موسى وهارون ولا تزال هذه جميعها قيد الدرس والبحث يعنى بها الأبوان ميليك وستاركي[٥] ومن هذه الاسفار القمرانية المنتحلة أيضاً صلاة نبونيدوس :

«كلمات الصلاة التي صلاها نبونيدوس الملك العظيم ملك أشور وبابل عندما أصيب بأمر الله بورم شديد وهو في مدينة تياء : أصبت سبع سنوات وأبعدت عن الناس ولكن لما اعترفت بآثامي وخطاياي ارسل الله إلي نبياً يهودياً ممن ابعدوا الى بابل . ففسر وكتب ان يمجد اسم الله العلي . وكتب هكذا : لما أصبت بورم شديد بأمر العلي في مدينة تياء صليت سبع سنوات

(١) Rev. Bib., 1955, 297-298. Dix Ans, 31-32

(٢) *Rabin, Ch.*, The Zadokite Documents, 83.

(٣) *Dupont-Sommer, A.*, Les Ecrits Esseniens, (1959), 316-318.

(٤) *Avigad, N., and Yadin, Y.*, A Genesis Apocryphon, A Scroll from the Wilderness of Judaea; *Milik, J. T.*, Dix Ans, 33, n. 1.

(٥) *Milik, J. T.*, Dix Ans, 33.

الى الآلهة المصنوعة من الفضة والذهب والبرونز والخشب والحديـــد والحجر والطين... من الآلهة ... » (١)

وفي هذا كله شيء من التشابه مع ما ورد في سفر دانيال عن المرض الذي ألمّ بنبوخذنصر[٢] .

مخطوطة دمشق

لقد سبقت الاشارة الى هذه المخطوطة . وهي بدون اي ريب من مخلفات جماعة قران . فقد عثر المنقبون في الكهوف القمرانية . الرابع والخامس والسادس على قطع يتفق نصها وما جاء في الوريقات « الف » من مخطوطة دمشق . وفيها أيضاً ما يكمل نصوص هذه الوريقات . وقد تبين ايضاً من درس النصوص القمرانية ان المصنف الذي بقيت عنه هذه القطع جاء في جزئين اولها يبين خطة الخلاص الالهية (الفصول ١ — ٨) والثـاني يظهر النظم التي وجب اتباعها على الاخوان . وهكذا فانه لم يبق أي مجال للقول ان الجزئين يمثلان مصنفين مختلفين[٣]

قانون الجماعة

هو ما اسماه بعضهم قانون الانضباط[٤] . وقد وُجدت منه نسخة تكاد تكون كاملة في كهف قران الاول وتسع قطع من نسخ أخرى في كهف قران الرابع . ونص هذه اصح من نص النسخة الكاملة وأوضح واسلم . وقد تعين كثيراً في تحري النص الاصلي والمجيء بلفظه كما أخرجه واضعه « معلم الصلاح » . وبعد العنوان والمقدمة يأتي وصف طقس الانتماء الى الجماعة ثم الكلام عن «أمير النور» و « ملاك الظلام »، فقوانين الجماعة فزمور الختام[٥]

قانون الجهاد

ومن مخلفات كهف قران الاول درج جهاد ابناء النور ضد ابناء الظلام . وقد

(١) *Burrows, M.*, More Light, 400.

(٢) Rev. Bib., 1956, 401 - 415.

(٣) *Dupont-Sommer.*, *A.*, Les Ecrits Esseniens, 129 - 178.

(٤) *Burrows, M.*, Dead Sea Scrolls, 24 - 26.

(٥) *Ibid.*, 371 - 389 ; *Dupont - Sommer, A.*, op. cit., 83 - 127.

بقي منه تسعة عشر عموداً وجميع هذه العواميد مخزومة عند اسفلها . وهي لا تمثل سوى القسم الاول من قانون الجهـاد[1] . وسنعود الى محتويات هذا الدرج عند الكلام على انتظام الجماعة وعقائدهم

مزامير الشكر

هي اُلحديات كما جاءَ في العبرية . وحدا يحدو في العربية رفع صوته بالحداء . وحدى القارئ يحدي تردد الى قدام وخلف وهو يقرأ جالساً . ودرج « الحديات » من دروج كهف قمران الاول وقـد جاءَ مخزوماً في اماكن عديدة . ولم يبقَ منه سوى ثمانية عشر عموداً وعدد كبير من القطع الصغيرة يربو عددها على الستين . وعدد المزامير المحفوظة عشرون ولعلها كانت اكثر بكثير من هذا العدد[2] . وتبدأ هذه المزامـير بالعبارة : « اني اقدم لك الشكر يا الله » . ومن هنا القول انها مزامير الشكر

وناظم هذه المزامـير بموجب نصوصها هو « المعلم الذي يعلم ، والأب الذي يعتني ومصدر المياه الحية، مشيد بنيان الجماعة وبستاني البستان الابدي » . ومن أجدر بهذا كله من « معلم الصلاح » نفسه[3]

قانون الاخلاق

وهنالك قطع كثيرة من مخلفات الكهف القمراني الرابع تتضمن نتفاً من قانون الاخلاق الذي يرتكز الى نصوص الاسفار الخمسة . وهو يوجب درجة من الانضباط أشد وأضيق مما ينص عليه قانون السلوك عند الفريسيين[4]

تفسير الاسفار

والتفسير عند أئمة قمران هو التأويل على ضوء ظروف الجماعة . فهو ليس مجرد التعبير

(١) *Gaster. T. H.*, Scriptures of Dead Sea Sect, (1957), 260 - 284 ; *Sukenik, E.*, Dead Sea Scrolls of the Hebrew University, (1955), Pl. 16 - 34, 47.

(٢) *Sukenik, E.*, op. cit., Pl. 35 - 48; Qumran, Cave I, 35; *Dupont-Sommer, A.*, op. cit., 213 - 266 ; *Gaster, T.*, op. cit., 131 - 197.

(٣) *Milik, J. T.*, Dix Ans, 36.

(٤) *Ibid.*, 36.



الدرج الكامل لسفر شعيا (ص ٣٣ و ٣٤)

عن شيء، بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل . وانما هو رجوع الى الاسفار لتأييد العقيدة وفهم الماضي والحاضر على ضوئها . وهكذا فإن ما تبقى من تفاسيرهم هو واحد من ثلاثة : إما تفسير على ضوء ما تأتى للجماعة في الماضي كتفسير حبقوق وميخا والمزامير وإما تفسير على ضوء علاقة الجماعة بشعب معين معاصر كتفسير نحوم، وإما تفسير يتعلق بانقضاء العالم وواجب الجماعة كتفسير اشعيا[١]

معلم الصدق

وتكثر الاشارة في أدب الجماعة الى شخصين لهما علاقة وثيقة فيا يظهر بتأسيس الجماعة . فهنالك معلم الصدق أو معلم « الوحدة » أي الجماعة، وهنالك الكاهن الراسع أي الفاسد ويدعى أحياناً الكاهن الكاذب . وقد تسرّع بعضهم وتنزعوا فرأوا في مخلفات قمران اشارة الى عـذاب أليم أنزل بعلم الصدق كآلام يسوع . وبين النصوص التي يستشهد بها هؤلاء لتأييد استنتاجاتهم هذه تعليق قمراني على قول حبقوق : « ويل لمن يسقي صاحبه »، هذا نصه : « هذا يشير الى الكاهن الكاذب الذي تعقّب مفسر الناموس الصادق حتى مكان عزلته ليشوّش عليه أموره بالتظاهر بالغضب الشديد الذي عاد فظهر بينهم، لمناسبة يوم الكفارة، بابهة كاملة ليختلط عليهم أمرهم ويسقطوا في زلة يوم الصوم يوم الراحة السابع[٢] » . وليس في هـذا كله أي تعذيب حلّ بعلم الصدق على غرار صلب السيد المسيح . وان هي إلا اشارة الى زيارة رسمية قام بها كاهن اوروشليم الاعظم الى قمران مقر معلم الصدق ليحرج بها المعلم وتلاميذه وجماعته[٣] . وفي الاناجيل من اخبار الفريسيين والصدوقيين واحاديثهم مع يوحنا السابق ومع السيد نفسه ما يدل دلالة واضحة على لجوء اولئك الى مثل هذه المناورات

وليس في النصوص الاخرى التي يتذرع بهـا القائلون بالتشابه بين معلم الصدق القمراني وبـين السيد المخلص ما يؤيد ما يذهبون اليه . فالتعليق القمراني على الآية

(١) *Gaster, Th.*, Scriptures of the Dead Sea, 221 - 254 ; *Dupont-Sommer, A.*, Ecrits Esseniens, 267-290.

(٢) *Gaster, Th.*, op. cit., 240-241.

(٣) *Talmon, M. S.* Biblica, 1951, 549-563.

« ألا يقوم بغتة من يعضونك » (حبقوق ٢ : ٧) هو ما يلي بالضبط : « ان معنى هذه الكلمات يشير الى الكاهن الذي عصى وخالف تعاليم الله فسلّمه الله إلى أيادي اعدائه وأذلّه هؤلاء، وأذاقوه عذاباً مرّاً لِمَا اقترف من طغيـان ونفاق، وانزلوا به عناء مخيفاً منتقمين منه بجسده[١] ». ولما كان القسم الاول من هذا الكلام يشير بصورة واضحة الى الكاهن الكاذب فانه لم يبقَ أي مجال للقول بأن ما يتبع يشير الى معلم الصدق ولاسيا وان عدداً من النصوص الاخرى تنطق بغضب الله على هذا الكاهن الفاسد[٢]، وان معلم الصدق بموجب التعليقات القمرانية هو الوارد ذكره في المزمور السابع والثلاثين الذي « لا يتركه الرب في يـده ولا يؤثمه في قضائه ». والواقع انه ليس هنالك أي نص قمراني يثبت قتل معلم الصدق قتلاً أو صلبه صلباً. وفي مخطـوط دمشق ما يشير الى وفاته وفاةً طبيعية فانه « ينضم الى قومه[٣] » انضماماً كما انضم ابراهيم من قبله واسحق وغيرهما من البطاركة[٤].

ولا تزال أخبار معلم الصدق غامضة ضئيلة. وجل ما يمكننا ان نقوله اليوم هو انه كان كاهناً ومؤسـساً لمنظمة قران[٥]، وان هذه المنظمة تفرعت عن الحسيديين « ذوي البأس في اسرائيل » الذين خرجوا مع يهوذا المكابي وأنزلوا نقمتهم بالقوم الذين خذلوهم الذين أيدوا ألكيموس صديق انطيوخوس أبيفانس[٦]. واذا صح الافتراض ان كتاب الترانيم « المزامير » الذي وُجد في كهوف قمران[٧] هو من مخلفات معلم الصدق تمكنا من القـول ان الله خص هذا المعلم منذ نعومة اظفاره بنعمه وحل محلّ والديه[٨]، وان المعلم لبّى هذه الدعوة فأصبح معلماً لمن حـوله[٩]، وان الله أنار سبيله فأبصر الـسر

(١) Milik, J. T., Dix Ans, 49; Gaster, Th., op. cit., 239.
(٢) Gaster, Th., op. cit., 238-241.
(٣) C D 8, 21; 19, 35; 20, 14.
(٤) تكوين ٢٥ : ٨ ؛ ٣٥ : ٢٩
(٥) I Q p. Hab., II, 5.
(٦) ١ مكابيين ٢ : ٤٢ ؛ ٧ : ١٣ وما يليه
(٧) I Q H.
(٨) I Q H III, 29-32, 34-36.
(٩) I Q H, XIV, 17-19.

الالهي[1] ووهب غيره مما اخذ رغم ما حلّ به من اضطهاد دل على نقيض هذه القدرة:

« لقد أنرتَ بواسطتي كثيرين وأظهرت قوتك التي لا قياس لهـا وهيأت لي ان اعرف اسرارك الغامضة وان تتمجد بي اتماماً لتدبير لا يُدرَك » (٢)

وأبعد المعلم ولكن الله اسكن العاصفة وخلص نفسه[3] فعاد بخبرته أباً للاتقياء[4]

ويستدل مما جاء في عهود البطاركة الاثني عشر ومما جاء في عهد لاوي في نصه اليوناني[5] ومن التعليق على نبوة حبقوق[6] ان السبب الذي أدّى إلى انفصال جماعة قمران كان خروج الكهنة على الناموس والتقليد بالجشع والتنعم ومماشاة المتهلّنين، وان معلم الصدق هدف الى انشاء شعب اسرائيلي جديـد يسلك سبيل الخلاص الذي اعده الله واعلنه بواسطة الانبياء، وانه أوجب على من اختاره الله ليكون في عداد الشعب الجديد العودة، الى طرق الآباء الذين قضوا في الصحراء اربعين عاماً قبل دخولهم ارض الميعاد كما أوجب الابتعاد عـن العالم والتعاون معاً في عيشة مشتركة مقدسة تقوي النفوس في مقاومة الشر، وتجعلها تتذوق الحياة الملائكية عند انقضاء الدهر . وأنذر ان لا بد من دخول قوى النور في حرب طاحنة ضد قوى الظلام[7] .

من هو معلم الصدق ؟

ولا ندري من هو معلم الصدق فخلفات قمران خالية من ذكر اسمه وكذلك مخطوط دمشق والادب المعاصر . ولا يجوز والحالة هذه القطع بشيء من أمر هويته . وقد استسرّت على العلماء معرفته فذهبوا في تعيين شخصه مذاهب لا فائدة من استعراضها جميعها . ويكفي ذكر اهمها واقربها الى قواعد المنطق وحدود الاجتهاد.

(١) I Q H, IV, 53.
(٢) I Q H, IV, 27 f.
(٣) I Q H, V, 16-18
(٤) I Q H, VII, 19-23, 25.
(٥) T L, XIV.
(٦) I Q P Hab, IX, 4 f.
(٧) Milik, J. J., Dix Ans, 54-55.

فالأب ميليك يبدأ بالتعرف بشخصية الكاهن الكاذب لعله يستدل بذلك على شخصية معلم الصدق . فيقول ان نصوص قمران تذكر بوضوح ان الكاهن الكاذب سُجن ولاقى عذاباً أليماً على يد اعدائه لانه تظلّم معلم الصدق وجماعته فأذلّه اعداؤه حتى الموت[١] . وأنه أضلّ كثيرين فشيّد مدينة بالدم وانشأ جماعة بالنفاق[٢] . وتذكر هذه النصوص ايضاً ان الكاهن الكاذب اشتهر اولاً بالصدق فلما تولى الحكم في اسرائيل تجبر وابتعد عن الله وأخلف فخان عهد الله طامعاً في المال فجمعه كالأشرار فصادر املاك الشعب مكدساً فوق رأسه جزاء الذنوب[٣] . وهكذا فان هذا الكاهن الكاذب يبدو في نصوص قمران كاهناً حاكماً محارباً مصادراً مشيداً يقع في النهاية في يد اعدائه فيلقى عذاباً أليماً ويموت موتاً . وهي اخبار لا تنطبق على سيرة شخص بقدر ما تتفق مع اخبار يوناثان المكابي (١٦٠ — ١٤٢) خامس ابناء متتيا وخلف يهوذا . فان يوناثان خرج من المحنة التي حلت باليهود بعد موقعة بير زيت حيث لقي يهوذا حتفه وتمكن بغزواته في شرق الاردن وفي البقاع من جمع مقادير من الاموال ، ثم قضت ظروف ديمتريوس الملك الهليني بان يتقرب من يوناثان فاذن له ان يجمع جيوشاً ويتسلح بالاسلحة . فأقام يوناثان في اوروشليم وطفق يبني ويجدد المدينة

وسمع الاسكندر بن بالاس خصم ديمتريوس بالمواعيد التي عرضها ديمتريوس على يوناثان فكتب الى يوناثان يقيمه كاهناً أعظم في أمته ، وأرسل اليه ارجواناً وتاجاً من ذهب (١٥٢) ، ثم قائداً وشريكاً (١٥٠ — ١٤٩)[٤] . وهكذا فان يوناثان ظل حتى السنة ١٥٠ قبل الميلاد متبعاً سياسة والده واخيه محافظاً على استقلال اسرائيل ، ساعياً لاقامة الحق وتطبيق الناموس واعادة الملك لله . ثم غرّر بنفسه فتدخل في سياسة الدولة السلوقية المجاورة وطمع في استغلال ظروفها الداخلية الحرجة فقبل رئاسة الكهنوت من يد ديمتريوس الملك الوثني ، وحاكمية سورية من يد انطيوخوس السادس

(١) I Q H, IX, 9-12.
(٢) I Q H, X, I, 9-13.
(٣) I Q H, VIII, 8-13.
(٤) سفر المكابيين الاول، الفصل العاشر

فأمسى في نظر المقدسين المتزمّتين من اليهود خارجاً على التعاليم السماوية ، متخلياً عن الاله العلي ، جاحداً ؛ ووجد يوناثان من أيّده في سياسته الزمنية غير الدينية التي أفسد بها الهدف المقدس فهبّ الاتقياء المقدسون يقاومون « خدام الدنيا وأباطيلها واعمال الخداع والخيانة»[١] . وتزعم هذا الاستياء الشديد جماعة من الكهنة أغاظهم تحوّل الكاهن الاعظم الى قائد مأجور ؛ وقام أحدهم « معلم الصدق » يوجب مقاطعة الخونة ويؤكد ان تحقيق الهدف الرباني لا يمكن ان يتم الا بالابتعاد والانفصال عن الجاحدين الأثمة . وعندئذٍ تمّ الخروج الذي ورد ذكره في مخطوط دمشق واستقر « المعلم » واتباعه في قمران معتزلين متنسكين . واهتم يوناثان لهذا التصدع في الصفوف وهذه المقاومة السلبية فنزل هو نفسه الى قمران لتسوية الامور ولمّ الشعث ، ولعله هدد وتوعد ولكنه لم يُفلح ، وفي السنة ١٤٣ قبل الميلاد تمكن تريفون القائد ، بين الكسندروس بالاس ومؤيد ابنه انطيوخوس السادس ، من القبض على يوناثان في عكة ونقله الى انطاكية حيث أمر به فقتل[٢]

ويرى هذا الرأي نفسه الاب فرمس Vermès ولكنه يجعل من سمعان خلف يوناثان كاهناً كاذباً يزور قمران[٣] . وقد يكون وقد لا يكون ، ولكن الاشارة الرابعة في العهود « Testimonia » قد تكون الى يوناثان والى سمعان معاً[٤] . وقد جاء في سفر المكابيين الاول (١٠ : ١٠) ان يوناثان « أقام في اورشليم وطفق يبني ويجددها » ؛ وجاء ايضاً (١٤ : ٣٧) ان سمعان « أسكن فيها رجالاً من اليهود وحصنها لصيانة البلاد والمدينة ، ورفع اسوار اورشليم »

ويستبعَد ان يكون هيركانوس الثاني هو الكاهن الكاذب . فانه على الرغم من وقوعه في يد الفرت اسيراً في السنة ٤٠ قبل الميلاد وعلى الرغم من شنقه بأمر هيرودوس في السنة ٣٠ قبل الميلاد فانه لم يعد صالحاً للكهنوت بعد شرم أذنيه !

---

(١) I Q H, X, 11 f.

(٢) Milik, J. T., Dix Ans, 55-57.

(٣) *Vermès, G.*, Cahiers Sioniens, 1953, 71-74 ; Les Manuscrits de Juda, 92-100

(٤) Journ. Bib. Lit., 1956, 185.

وقد اختلف العلماء في تعيين الكاهن الكاذب ومعلم الصدق وتشعبت آراؤهم . ولعل السبب في هذا التباين ان مخلفات قمران محدودة وان نصوصها التي تتعلق بهذا الموضوع مبهمة غامضة ومخرومة ناقصة ، وان المراجع التاريخية المعاصرة قليلة في عددها ، عمومية في مواضيعها ، خالية من التفاصيل الدقيقة اللازمة لاجل البت في امر الكاهن والمعلم . ومن اهم اسباب هذا الاضطراب والشقاق ان معظم الباحثين في هـذا الموضوع هم لغويون لا مؤرخون ولم يسبق لهم ان تدربوا في النقـد التاريخي وسلامة الاستنتاج وجميع ما يقع تحت علم المصطلح . ومما يلفت النظر ان هؤلاء الباحثين يصرفون معظم وقتهم في تهديم ما يقوله غيرهم ولا ينتقلون من النقد السلبي الى العمل الايجابي فتتعارض اهواؤهم قبل تباين آرائهم . ومن هنا اعتمادنا ابحاث الأبوين دي فو وميليك والاستاذ بوروز وتقديم آرائهم على افتراضات غيرهم

وليس لنا ان نذكر هنا جميع هـذه الافتراضات والآراء ولو فعلنا لاضطررنا ان نفرد لها كتاباً خصوصياً . وقد يكفي ان نلخص بعضها لتبيان تباينها . فهنالك من يجعل الظرف التاريخي الذي ظهر فيـه الكاهن الكاذب ومعلم الصدق سابقاً لعهد المكابيين ، فيرى معلم الصدق في شخص اونيا الثالث الكاهن الاعظم معاصر انطيوخوس الرابع ابيفانس (١٧٥ — ١٦٤) ويرى الكاهن الكاذب في شخص منلاوس . وبعض من يقول هذا القول يفرق بين صاحب الكذب وبين الكاهن الفاسد فيرى الاول في شخص انطيوخوس والثاني في شخص منلاوس . وأضعف ما في هذا القول كله انه ليس في ما نعلم عن اونيا ما يخوّل جعله معلم الصدق وانه ليس في نصوص قمران ما يخولنا التفريق بين صاحب الكذب والكاهن الفاسد(١)

وهنالك من يجعل الظرف الذي ظهر فيـه معلم الصدق ظرف الثورة المكابية وهؤلاء يرون في الالفاظ العبرية التي تشير الى معلم الصدق معنى غـير معنى « المعلم » فهذا المؤسس هو الموجه لا المعلم . وعندئذٍ يصح القول في نظرهم بان هذا الموجه هو إما متتيا المكابي او ابنه يهوذا . والكاهن الكاذب الفاسد هو في نظر هؤلاء ألكيموس

(١) *Burrows, M.*, Dead Sea Scrolls, 162-168.

الذي « طمع ان يصير كاهناً اعظم » فامسى « كافراً » في نظر المقدسين من اسرائيل[١]. ويكون المعلم الصادق، والحالة هـذه، احد اولئك الحسيديين الذين أوقع ألكيموس بهم[٢].

وعلى الرغم من ان ارسطوبولس الاول (١٠٤ — ١٠٣) أظهر التكبر والتجبر واستصغر تاج الكهنوت ومات ميتة شنيعة فان احداً من العلماء الباحثين لم يربط بينه وبين الكاهن الكاذب. ولكن عدداً منهم يرون في شخص اخيـه الكسندروس ينايوس (١٠٣ — ٧٦) ما يتفق وشخصية الكاهن الكاذب. فهو الطامح الطامع الداعر الفاسق الذي نكّل بالفريسيين وقتل وجوههم واعتلّ بحمى الربع فدامت عليه ثلاث سنوات ونهكت جسمه. ويرى هؤلاء ان معلم الصدق هو إما اليعازر او يهوذا الذي أنب يوحنا هيركانوس واستهدف غضب الكسندروس ينايوس[٣].

وذهب دوبون صومر Dupont-Sommer وغـيره الى ان ارسطوبولوس الثاني (٦٨ — ٦٣) هو الكاهن الكاذب وان أونيا الصدّيق الذي أمر به ارسطوبولوس في السنة ٦٥ قبل الميلاد فقتِل هو المعلم الصادق، وان الظرف الذي تمت فيه هـذه الحوادث هو ظرف الفتح الروماني على يد بومبيوس. ويشير هؤلاء العلماء الى الذل الذي حلّ بارسطوبولوس عندما حمله بومبيوس معه مقيداً الى رومة كما يشيرون الى وفاته مسموماً في بلد من بلدان سورية كما جاء في حروب اليهود ليوسيفوس. واغرب ما في موقف دوبون صومر مداعبته لاحد النصوص في التعليق على حبقوق ليخلص الى ان معلم الصدق « ظهر لجماعته بعد قتله ككائن الهي »[٤]! فليس في اللفظ الوارد ما يوجب هذا الاستنتاج اي القول بظهور الهي. وقد يكون الشخص الذي ظهر لهذه المناسبة الكاهن الكاذب لا معلم الصدق[٥]!

وعثر تيخر Teicher، الاستاذ في جامعة كامبردج الانكليزية، على اللفظ « ابيونيم »

(١) ١ مكابيين ٧ : ٥ وما بعده

(٢) *Burrows, M.*, op. cit., 168-171.

(٣) *Burrows, M.*, op. cit., 174-179.

(٤) *Dupont-Sommer, A.*, Ecrits des Esseniens, Habacuc, 278, n. 6.

(٥) *Burrows, M.*, op. cit., 156-157

في التعاليق القمرانية واطلع على ما كتبه مرغوليوث منذ خمسين عاماً عن مخطوط دمشق،[١] وعلى ما ذهب اليه زيتلن الالماني[٢] فقال ان جماعة قمران كانوا من الآبنيين Ebionites المسيحيين الاولين الذين استمسكوا بالناموس فعارضوا بولس وغيره ممن أحب ان تكون الرسالة عالمية لا يهودية فقط!

والواقع ان الثلاثي العبري «أَبَنَ» هو كالثلاثي العربي نفسه يدل على مجرد الافتقار والزهد وليس كل زاهد فقير آبني! ثم ان القول بآبنية قمران يستوجب القول مع الاستاذ تيخر بان مخلفات قمران تعود الى ما بعد القرن الاول بعد الميلاد، وأن أزمة العنف التي أدت الى درج الدروج في الكهوف هي عاصفة الاضطهاد الشديد التي اثارها الامبراطور ذيوقليتيانوس في السنة ٣٠٣ بعد الميلاد. وهي اقوال لا تتفق مع معطيات اعمال التنقيب الفنية في خرائب قمران والكهوف المجاورة. والقول مع تيخر بآبنية الدروج وغيرها من المخلفات يقضي بالقول معه بان «المعلم» هو السيد المسيح وبان الكاهن الكاذب هو بولس الرسول! وهو قول مردود في اساسه للفارق الكبير بين تعاليم السيد المخلص وتعاليم معلم الصدق كما سنرى، ولانه يضطرنا الى القول بان بولس كان كاهناً يهودياً وهو لم يكن![٣]

ورأى روث Roth، الاستاذ في جامعة اوكسفورد في السنة ١٩٥٧، ان القمرانيين كانوا من «الغيورين» الجليليين الذين قاوموا رومة في السنة ٦٦ بعد الميلاد فهدوا بثورتهم الى خراب المدينة المقدسة في السنة ٧٠، وان الكاهن الكاذب هو اليعازر بن حنانيا، وان معلم الصدق هو مناحيم ابن يهوذا الذي قتل في تلك السنة نفسها على تلة عوفل.[٤] ثم رأى الاستاذ روث ان النصوص القمرانية لا تجيز الاستنتاج بان «المعلم»

(١) *Margoliouth, G.*, The Saducean Christians of Damascus, The Expositor, 1911, 499-517, 1912, 213-235.

(٢) *Zeitlin, S.*, A Commentary on the Book of Habbakuk, Jewish Quarterly, 1949, 235-247, and several other articles.

(٣) *Teicher, J. L.*, The Dead Sea Scrolls — Documents of the Jewish Christian Sect of Ebionites, Journ. of Jewish Studies, (1951), 67-99, 115-143, (1952), 53-55, 87-88, 111-118, 128-132, 139-150, (1953), 1-13, 49-58, 93-103, 139-153, (1954), 38, 93-99, etc.

(٤) *Roth, C.*, Le Point de vue de l'historien sur les manuscrits de la Mer Morte, Evidences, (1957), 37-43, (1958), 13-18.

قُتل فاقترح في رسالة اخرى ان يكون المعلم الصادق اليعازر نسيب مناحيم وخلفه في قيادة الغيورين . ووافقه في هذا زميله الدكتور درايفر Driver[1] .

ويلاحظ في الرد على الاستاذين الاكسفورديين ان مخلفات قران ، ولاسيما التعليق على المزمور السابع والثلاثين ، تجعل من « المعلم » كاهناً . اما مناحيم فانه ، بموجب شهادة يوسيفوس ، ابن يهوذا الجليلي مؤسس حركة الغيورين في حوالي السنة ٦ بعد الميلاد ولا اشارة البتة الى علاقته بالكهنوت او انتسابه الى عائلة كهنة . ثم ان اخبار الغيورين تدل على انهم ارادوا ان يلجأوا الى العنف والاغتيال لتحرير اسرائيل . هم الاسخريوطيون اصحاب الخناجر . هم جماعة من الارهابيين الذين رأوا في الارهاب وسيلة للوصول الى هدف أسمى . أما القمرانيون فانهم جماعة من التائبين الزاهدين المتواضعين المحبين الذين آثروا ان يبتعدوا عن العالم ليعدوا طريق الخلاص . والحرب عندهم بين ابناء النور وابناء الظلام هي حرب انقضاء الدهر لا حرب قريبة الوقوع ضد رومة وعمالها . والدرج الذي يحمل اخبار هذه الحرب هو درج سابق لظهور الغيورين ، هو أثر من آثار القرن الاول قبل الميلاد[2] .

وفي السنة ١٩٥٧ أصدر حاييم ربين ، الاستاذ في الجامعة العبرية ، كتابه « الابحاث[3] » فرأى في جماعة قران « حابورة » من حابورات الفريسيين التي شاع نظامها في القرن الاول قبل الميلاد . والحابورة في العربية هي « مقعد اليهود في مجامعهم » . ويرى حاييم ان حابورات القرن الاول التي انتظمت لتطبيق الناموس تطبيقاً تاماً ولتطهير الجسد والنفس كانت اكثر استمساكاً واشد انضباطاً من حابورات العهد الربوني المتأخر ، وان حابورة قران تعود الى عصر الانتقال من العهد الفريسي القديم الى العهد الربوني المتأخر اي الى منتصف القرن الاول بعد الميلاد .

واول ما يؤخذ على حاييم ان استنتاجه لا يتفق من حيث الزمن مع معطيات

---

(١) *Roth, C.*, The Historical Background of the Dead Sea Scrolls, (1958).

(٢) *Dupont-Sommer, A.*, Ecrits, 409-415.

(٣) *Rabin, Ch.*, Qumran Studies, Oxford, 1957.

التنقيب في خرائب قمران . ثم ليس هنالك في اي مرجع من المراجع ما يدل على اي خصام بين الحابورات الفريسية القديمة والحابورات الربونية المتأخرة ، وكذلك فان التقويم القمراني يختلف كل الاختلاف عن التقويم الفريسي[١].

سد الثلمة

وأسفرت اعمال التنقيب في خرائب قمران عن ظهور ثلمة في تاريخ هـذه الخرائب تمتد من السنة ٣١ قبل الميلاد حتى السنة ٤ قبل الميلاد . فليس هنالك ما يدل على سكنى هذه الخرائب في هذه الفترة . فكيف نفسر هذه الظاهرة الاثرية على ضوء الماضي المعروف من المصادر التاريخية الاخرى؟ والجواب العلمي هو انه ليس لدينا اي دليل راهن يمكننا الاسترشاد به . فقد يكون السبب في ذلك ان الزلزال الذي حلّ بقمران في السنة ٣١ قبل الميلاد افزع الاخوان فأبعدهم ، وقد يكون السبب قحطاً حل بالمنطقة فأدى الى الجوع فالرحيل ، وقد يكون عطف هيرودوس الكبير على الحاسيين وشعور هؤلاء بانه لم يبقَ من موجب لاستمرار العزلة او الاقامة في قمران ، وقد يكون السبب وَهَناً حلّ بصبر بعض الاخوان فسئموا الانتظار فخرجوا[٢] . ويرى البعض ان الاخوان نزحوا الى دمشق في هذه الفترة وانهم لم يعودوا الى قمران قبل عهد أرخيلاوس خلف هيرودوس .

والواقع انه ليس لدينا من المعلومات التاريخية الثابتة الراهنة ما يمكننا من الاخذ بهذا الرأي او ذاك ، وان هـذا هو السبب الاساسي في تفرق رجال الاختصاص في الرأي في امر هذه المخطوطات . ولو تجرّدوا وعادوا الى العقل والمنطق لاضطروا ان يقولوا « لا ندري » وان يقفوا عند هذا الحد منتظرين ادلة جديدة وأفقاً أوسع . وقد يفيد القارئ ان يطلع على حجج هؤلاء في تباين آرائهم حول مخطوط دمشق ووجود جماعة في دمشق وعلاقة هذه الجماعة بقمران وما الى ذلك[٣] .

(١) *Baumgarten, J. M.*, «Qumran Studies». Journ. of Bib. Lit., 1958, 249-257.

(٢) I Q H, VII, 7 f and 10-14.

(٣) *Burrows*, More Light, 219-227.

الفصل الخامس

نظم الجماعة في قمران وقوانينهم وعقائدهم

التقيد بالناموس والنبوات

واعتبر الجماعة أنفسهم اسرائيليين حقيقيين مستقيمي الرأي فانتظموا على غرار السلف الصالح كما جاء في سفر الاعداد، وعلى ما توقع النبيون حدوثه عند انقضاء العالم. وتكتلوا عشائر والوفاً ومئاتٍ وعشرات. وتمايزوا طبقاتٍ هارونيين ولاويين وشعباً دُعي اسرائيل[1].

وخصّ القانون احفاد هارون بالاشتراع والقضاء ولكنه أشرك الشعب في « موشب الارباب ». والموشب هو الموثب العربي اي المجلس، والارباب هنا هم الجمهور لا الاسياد الكهنة. وكان هذا المجلس ينظر في الامور القضائية والتنفيذية ويبت فيها بالتصويت[2]. ويستدل من بعض ما جاء في نصوص « الجهاد » على انه كانَ يتألفُ من مئة عضو او اكثر[3].

وكان للجماعة بموجب مخطوط دمشق زعيمان الاول كاهن وهو « الكاهن المفتقد » والثاني من الشعب وهو « مبقّر جميع المخيمات ». والمبقر في العربية كالعبرية هو المفتش. نقول بقر فلان في بني فلان اي عرف امرهم وفتشهم. وكانت واجبات المفتقد دينية اما المبقّر فانه كان القيّم على ممتلكات الجماعة. وكان لكل مخيّم مبقر يعنى بالمال المنقول وغير المنقول، ويعلّم في الوقت نفسه المرشحين للدخول في الجماعة ويقودهم الى الصلاح[4]. وفي نصوص قران ما يماثل هذا فهنالك « المفتقد » و « المبقّر »[5].

---

(١) I Q S II, 21 f.

(٢) I Q S VI, 8 ff.; Rabin, Ch., Qumran Studies, (1957), 95-111.

(٣) I Q M II, 8; Milik, J. T., Dix Ans, 64.

(٤) C D, 14, 8, 13.

(٥) I Q S. VI, 14, VII, 11 f.

وكان لجماعة قران ، بالاضافة الى ما تقدم ، مجلس الخمسة عشر . وكان هذا المجلس مؤلفاً من اثني عشر عضواً من الشعب وثلاثة من الكهنة . فمثل الاثنا عشر الاسباط الاثني عشر ، ومثل الثلاثة فروع لاوي الثلاثة جرشون وقهات ومراري[١] . اما في مخطوطة دمشق فان هذا المجلس كان مجلس العشرة مجلس اربعة من اللاويين وستة من الشعب[٢] . وفي هذا تقارب من العرف الهليني. فانه كان لكل بلدة هلينية مجلس عشرة هم العشرة المتقدمون decaprotes ، وعشرة الآراميين في جدول التعريفة في تدمر . ومما يؤيد هذا الاخذ عن العرف الهليني التوفيق الوارد في قول فيلون الاسكندري بين « المبقرين » والـ « epimelettes » الهلينيين والتوفيق في قول يوسيفوس بين هؤلاء « المبقرين » والـ « epitrophes » الهلينيين[٣] .

قارورة من موجودات خرائب قران

وجاء في قانون الجماعة وفي مخطوطة دمشق وفي القانون الملحق[٤] ما يدل على تقسيم افراد الجماعة الى خلايا تألفت كل منها من عشرة من « الشعب » وكاهن . وفي هذا تقارب مما ورد في سفر الاعمال (١ : ١٥) من ان « عـدد الاسماء كان نحو مئة وعشرين » اي عشرة لكل واحد من الرسل .

(١) 1 Q S, VIII, 1 f.; Gen. 46 : 11.
(٢) C D, X, 4 f.
(٣) *Milik, J. T.*, Dix Ans, 65; Jones, A. H. M., The Greek City, 165 ff.
(٤) 1 Q S, VI, 3 f.; C D 13, 2; 1 Q 28 a, II, 22.

ويلاحظ الاب ميليك وغيره من العلماء ان نظام الجماعة في قمران كان شعبياً في اساسه ، وان صبغته الكهنوتية كانت تقليدية شكلية اكثر منها واقعيــة فعلية . فالربون هم الجمهور لا الكهنة وهم مجلس العموم ولهم صلاحياتهم القضائية والتنفيذية . ومن هنا انتقاء يوسيفوس اللفظ اليوناني pleistoi للتعبير عن « الربين » العبرية والارباب العربية[1] . ومن هنا ايضاً انتقاء اللفظ اليوناني polloi للتعبير عن « الكثيرين » في متى (٢٦ : ٢٨) ، وانتقاء اللفظ اليوناني plethos للتعبــير عن الجمهور في سفر الاعمال (١٥ : ٣٠). ويجب فهم اللفظ pleiones الوارد في الرسالة الثانية الى اهل كورنثوس (٢ : ٦) بهذا المعنى نفسه : « يكفي هذا الانسان ذلك التوبيخ الذي من الاكثرين[2] ». وهنالك ما يشابه هذا النص نفسه في قانون الجماعة القمرانيين[3]

تدريب المبتدئين وقبولهم

ويجوز القول ، بناء على ما جاء في قانون الجماعة وفي تاريخ يوسيفوس[4] ، انه كان على طالب الالتحاق بالجماعة ان يقضي سنة كاملة مرشحاً مختبراً متقيداً بالقانون ، وانه كان يحق له — في اثناء هذه الفترة — ان يترك الجماعة ويعود الى ما كان عليه سابقاً . ولعل يوسيفوس يشير الى هذا الامر نفسه عندما يتكلم عن خضوعه لتدريب بنّوس[5] .

واذا أتمّ المرشح السنة الاولى بنجاح وطلب الاستمرار في الخبرة دخل في مرحلة ثانية من التجربة دامت سنتين . وكان له عند انهاء السنة الاولى من هــذه المرحلة الثانية ان يشترك مع الجماعة في امور معينة كالوضوء مثلاً . واذا رضي عنه المدربون المراقبون في اثناء السنة الثانية من المرحلة الثانية اعتُبر فرداً من افراد الجماعة ، وحق له ان يشترك في « مشقة الربيم » اي في مستى الارباب او مشروب الجماعة ، وكان

---

(١) *Josephus*, Antiq. XVIII, 1 ; *Milik, J. T.*, Dix Ans, 65 ; *Burrows, M.*, Dead Sea Scrolls, 234.

(٢) *Milik, J. T.*, Dix Ans, 65-66.

(٣) I Q S, VI, 1

(٤) I Q S, VI, 13-23 ; War, II, 8.

(٥) *Josephus*, Vita, II.

على الطالب ، لدى قبوله وضمه الى الصفوف ، ان يقدم ما ملكت يداه للجماعة وان يضع مواهبه تحت تصرفهم وان يأكل معهم ويتبارك ويبارك معهم ويتشاور . ومن أخفى شيئاً من امواله وقع تحت القصاص سنة كاملة[1]. ولا يخفى انه في موت حنانيا وصفيرة الذي ورد ذكره في سفر الاعمال (٥ : ١ — ١١) ما يتفق في اساسه مع ما جاء في نبوة حزقيال (١٨ : ٤ و١٣) : « النفس التي تخطأ هي تموت » ومن يعطي « بالربى ويأخذ رِبحاً أفيحيا ؟ انه لا يحيا »

ووجب الاحتفال بدخول الاعضاء الجدد . وفي قانون الجماعة وصف لقبول الجدد في الصفوف . فهنالك اعترافات وتعهدات وادعية وصلوات وبركات ولعنات . وهناك ارتداء بالابيض وتطهير واطعمة موحدة وتوزيع اعمال . ولا يجوز القول بعمودية لانه يصعب جداً التفريق بين التطهير والوضوء اليومي . وليس في مقدار المياه المحفوظة في الصهاريج ما يشير الى معمودية معينة . فالجماعة كانوا كثراً وطقوسهم واعمالهم تطلبت كميات كبيرة من الماء[2]

الطبقات والصفوف

ويبدو مما تبقى من آثار الجماعة انهم انتظموا طبقات وصفوفاً ، كهنة وشعباً ، وشيوخاً وكهولاً وفتياناً ، وانهم كانوا يجلسون في الاجتماعات والحفلات حسب رتبهم : الكهنة اولاً ثم الشيوخ فسائر الاعضاء ، وانهم كانوا لا يقاطعون بعضهم في اثناء البحث بل يتكلمون كل بدوره وبموجب رتبته[3]

وجعل يوسيفوس الحاسيين اربع طبقات على اساس قدم العهد في الجماعة وقال ان القدماء بينهم يعتبرون الجدد أحط منهم قدراً فيتوضأون عند ملامستهم كانهم لامسوا غرباء . وبحث ايبوليتوس (١٧٠ — ٢٣٦) هذا الامر في ردوده على الهراطقة (٩)

(١) I Q S, VI, 25 ; C D, 14, 20.

(٢) I Q S, I ; *Allegro, J. M.*, The People of the Dead Sea Scrolls, (1959). 33-34 ; *Milik, J. T.*, Dix Ans, 67.

(٣) I Q S, VI, 8-13 ; I Q S a II, 11-17 ; *Josephus*, War, II, 132 ; *Philon*, Quod Omnis Probus Liber, 81 ; *Milik, J. T.*, Dix Ans, 67 ; *Dupont-Sommer, A.*, Ecrits, 60.

فقال ان الحاسيين كانوا اربع طبقات وانهم اختلفوا في تطبيق الناموس فبعضهم تطرف الى حد انهم ترفعوا عن لمس النقود لانها حملت صوراً موجبين الامتناع عن حمل الصور او النظر اليها او صنعها . وامتنعوا عن دخول المدن خشية المرور تحت عتبة تحمل تمثالاً او صورة . وقال ان بعضهم حاول التثبت من اختتان من تكلم عن الله فاذا ما ثبت انه لا يزال أغلف اوجبوا اختتانه وهددوه بالقتل . فان أصرَّ اغتالوه اغتيالاً . هؤلاء هم الغيورون والاسخريوطيون . واضاف ان الجدد اعتبروا احط قدراً من القدماء وان هؤلاء امتنعوا عن ملامستهم وانهم توضأوا في حال اضطرارهم الى الملامسة

نهار قمران وليلها

وقضى القمراني نهاره يعمل لسد حاجات الجماعة ، فاما يعمل في احد المشاغل منجراً او محدداً او منحساً واما يعمل في الحقل حاصداً ، في سهل البقيعة فوق قمران او في الساحل بينها وبين عين فشخة ، واما يرعى القطيع حيث تسمح الظروف بذلك . ولكن اقدس الاعمال واشرفها كان الاكباب على الاسفار واستنساخها في قاعة الكتابة

وفي درج الانظمة اشارتان الى أدب الطعام توجب احداهما الصلاة او البركة قبل البدء بتناول الطعام ثم تحصر هذه البركة بالكاهن[١] . وتبحث الثانية في المأدبة الكبرى التي تقام عند انقضاء الدهر بحضور المسيحين معاً ، المسيح الكاهن الاعظم ومسيح اسرائيل الذي يتحدر من نسل داود . وفي هذه ايضاً لا يجوز البدء بتناول الطعام قبل البركة من « المسيحَين » المسيح الكاهن اولاً ثم مسيح اسرائيل[٢] . وجاء في مصنفات فيلون الاسكندري ويوسيفوس المؤرخ وصف لوجبة مشتركة عند الحاسيين يتفق مع ما ذكرنا عما كان عند جماعة قمران[٣] . ولجأت بعض الاخويات الوثنيات الى مثل هذه المأدبات المقدسة . ولكن الفارق بين ما مارسه الحاسيون وبين سر الشكر عند المسيحيين ظلّ كبيراً جداً . فالمسيحيون اتحدوا بالمسيح لتقديس النفس والجسم اما

(١) I Q S, VI, 4-5

(٢) I Q S a, II, 17-22.

(٣) *Philon*, Quod omnis, 86, Apologia pro Iudaeis, 11; *Josephus*, Bel., II, 8, Antiq., XVIII, 1.

الحاسيون فانهم لم يروا في مأدبتهم سوى نموذج سابق لما توقعوا حدوثه عند انقضاء الدهر[١]

وقضى القمرانيون ليلهم في قراءة الكتاب وتفهم معانيه واحكامه فانقسموا أثلاثاً ، فقرأ كل ثلث منهم ثلث الليل ثم افسح المجال لغيره بعده فاحيوا بذلك الليل كله قارئين مستمعين متعظين مصلين[٢] ، متممين ما قاله الرب الى يشوع (١ : ٨) : « لا يبرحْ سفر هذه التوراة من فيك بل تأمّل فيه نهاراً وليلاً لتحفظه وتعمل بكل المكتوب فيه فانك حينئذٍ تقوّم طرقك وحينئذٍ تفلح »

وقلّب آخرون طرفهم في السموات وسامروا النجوم ورقبوا الكواكب ورعوها ليتبينوا خطة الله فيها وكتبوا في ذلك ودوّنوا . فهنالك درج يتضمن اثر النجوم والكواكب في مصير الانسان جسداً وعقلاً . وهنالك ما يبحث في تغييرات الطقس وآثارها في الحوادث الجارية : فبرقة او رعدة معينة قد تنبئ بوصول غريب الى قمران او بوقوع حادث غير عادي

وكان المصريون منذ اواخر الالف الخامس قبل الميلاد ، منذ السنة ٤٢٤١ ، قد استعاضوا من السنة القمرية بسنة شمسية مؤلفة من اثني عشر شهراً ، كل شهر منها ثلاثون يوماً ، ومن خمسة ايام تضاف اليها عند النهاية وتعتبر اعياداً . ولا يستبعد ان يكون الاسرائيليون قد اخذوا هذا الحساب عن المصريين بواسطة الفينيقيين في ايام المملكة وان يكونوا قد استمروا في استعماله في طقوسهم الدينية حتى عهد خلفاء الاسكندر . ثم جاء انطيوخوس الرابع فحاول تغيير « الازمنة » مع الشريعة (دانيال ٧ : ٢٥) ، وأوجب اعتماد الحساب القمري فكان ما كان من أمر « الكاهن الكاذب » يوناثان ومن امر « معلم الصدق » ونزوح هذا عن اورشليم واقامته في قمران

وأدى هذا الخروج من مدينة القدس والاعتزال في قمران الى درس الحساب القديم

(١) *Milik*, J. T., Dix Ans, 68-70.

(٢) I Q S, VI, 7-8; *Philon*, Quod omnis, 81; *Dupont-Sommer*, *A*, Ecrits, 101, n 2.

مقطع من درج قانون جماعة قمران (العمود ١٠)

واعادة النظر فيه ، ومن هنا هـذه الوريقات الباقية في موضوع الحساب في الكهف القمراني الرابع . ويستدل من هذه الوريقات وغيرها ان السنة في قمران تألفت من اثني عشر شهراً ، وكل شهر من ثلاثين يوماً ، وان الجماعة اضافوا اربعة ايام يوماً في كل فصل من فصول السنة فأمست سنتهم اثنين وخمسين اسبوعاً ، فجاءت تواريخهم في اليوم نفسه من الاسبوع في كل سنة فبدأوا كل سنة مثلاً في يوم الاربعاء واحتفلوا بالفصح في مساء الثلاثاء من كل سنة . ولا يخفى ان الله خلق الكواكب في اليوم الرابع وانه لم يكن هنالك نور ولم يكن نهار ومساء قبل خلق الكواكب[1] . ولعل في هذا الاختلاف بين الحسابين ما يفسر ظاهرة التفاوت بين نصوص الاناجيل الثلاثة ونص انجيل يوحنا فيما يتعلق بفصح اليهود واسبوع الآلام[2]

شعب جديد وعهد جديد

وليس في أدب قمران عن الله وعن الكون والانسان ما يناقض الاسس التي قامت عليها احكام العهد القديم . فالاسفار المقدسة ظلت في نظر الاخوان سيدة الموقف . وخروج اليهود على احكامها خروجاً متتالياً قرّب موعد انقضاء الدهر وأوجب التفاف الاخوان حول « المعلم » وانصياعهم الى نصائحه والقيام بما فرضه من عزلة وتوبة وشظف عيش[3] . وأمست علاقتهم بالله عز وجل هي تلك التي أعلنها ارميا النبي في الفصل الحادي والثلاثين من نبوته[4] :

« ها انها تأتي ايام يقول الرب اقطع فيها مع آل اسرائيل وآل يهوذا عهداً جديداً لا كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم اخذت بأيديهم لاخرجهم من ارض مصر لانهم نقضوا عهدي فأهملتهم انا يقول الرب . ولكن هذا العهد الذي اقطعه مع آل اسرائيل بعد تلك الايام، يقول الرب، هو اني اجعل شريعتي في ضمائرهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الهاً ويكونون لي شعباً »

وجاء هذا العهد الجديد مربوطاً في نظر الاخوان بموهبة خصوصية منحها الله لمعلم الصدق لفهم وعوده عز وجل وعهوده . وأمسى الاخوان ينتظرون انقضاء الدهر ويترقبون

(١) *Jaubert, A.*, Vetus Testamentum, 1953, 250-263 ; Milik, J. T., Dix Ans, 70-74.
(٢) *Jaubert, A.*, La Date de la Dernière Cène, Rev. Hist. Rel., 1954, 140 - 173.
(٣) C D, 1 - 8, 19 - 20.
(٤) C D, 8, 21 ; I Q p Hab. II, 3.

الرؤى التي كانت تحل على المعلم . وباتت شرائعهم شرائع وقتية لا بد من الاستعاضة عنها عند انقضاء الاجل بالشريعة الجديدة الدائمة[١].

وبان فرق بين تعاليم العهد القديم وتعاليم « المعلم » في شروط الانتماء للشعب الجديد فلم يكتفِ المعلم بان يكون المرشح من شعب الله المختار بل اوجب على كل مرشح ان يتخذ قراراً لنفسه « ينتدب » به نفسه للشريعة[٢] . وافتُرض في هذا المُنتدب ان يكون خالياً من كل عيب جسدي او أدبي . فقد جاء بين مخلفات الكهف القمراني الرابع[٣] نص يكمل ما جاء في مخطوط دمشق من حيث الانتماء الى الجماعة . فلا البُله ولا الحمق ولا الهبل ولا المجانين ولا العمي ولا المقعدون ولا العرج ولا الصمّ ولا القصّر يدخلون في عداد الجماعة . ولعل في هذا النص ما يوضح ما جاء في انجيل لوقا (١٤ : ٢١) ويظهر الفرق الظاهر بين رسالة السيد المخلص وبين تعاليم هؤلاء القمرانيين . فرسالة السيد المسيح عالمية تشمل جميع خلق الله ورسالة هؤلاء محصورة مقفلة سرية[٤] .

ثنائية كونية

ورأى الاخوان في قمران نزاعاً دائماً بين الخير والشر ، وقالوا ان الله خلق روحين روح الحق وروح الشر ووزعهما على البشر اجمعين لتقوداهم في اعمالهم . فكل ما هو حق من عالم النور ينبثق ، وكل ما هو شر من آبار الظلمة ينبع . وابناء الحق في طريق النور يسلكون وامير الانوار يتبعون . اما ابناء الشر فانهم في طرق الظلمة يتيهون ولملوك الظلام يخضعون ، والشرّ والخطيئة بأمره يصنعون[٥] . والعالم الارضي الذي عاشوا فيه كان مملكة بليعال . اما زعيم الصلاح فانه كان ميخائيل .

وأدت هذه الثنائية الى القول بحرب نهائية فاصلة بين ابناء النور وابناء الظلام

(١) P. Hab, VII, 1 - 2, 4 - 5, II, 5 - 10 ; S IX, 10 f ; D 14, 18 f.
(٢) ١ مكابيين ٢ : ٤٢
(٣) 4 Q D b
(٤) *Milik, J. T.,* Dix Ans, 74-77.
(٥) 1 Q S, III, 18 - 23.

ينتصر بها القمرانيون على العالم أجمع بقيادة الملاك الرسول الامين ميخائيل . واذا كان بامكاننا ان نجد بعد العناء جذوراً للقول بروحين في الاسفار القديمة فانه يصعب العثور على ما يحبذ فكرة جهاد مقدس يقوم به افراد قمران فيستولون على العالم اجمع . فلا بد والحالة هذه من الاعتراف باثر بالغ للثنائية الفارسية في تطور الفكر القمراني[1] . واليك ترجمة انشودة من اناشيد هذه الحرب كما جاءت في درج النور والظلام[2] يعود الفضل في نقلها الى العربية الى الاستاذ ابراهيم مطر في كتابه مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران :

> « انهض ايها المحارب واحصد ايها الشجاع وضع يديك على رقاب اعدائك ورجلك على اكوام موتاهم . . . اضرب الشعوب المعتدية واثخن الجد واملأ ميراثك بالبركات . فهذا هو اليوم الذي عينه الله لاذلال مملكة الشر فانك يا الله ترسل عونك الدائم لمن لهم نصيب في خلاصك على يد ملاكك القوي ورسولك الامين ميخائيل . ويرسل الله نوراً ابدياً ليفيء سبيل ابناء النور وينصرهم على اعوان الظلام وعلاهم بالفرح . وكل الذين وضعوا اتكالهم على الله ينالون البركة والسلام » (٣)

نبي ومسيحان

وعاد أحبار قمران الى سفر التثنية (١٨ : ١٨) وربطوا هذا بما جاء قبله في (٥ : ٢٨) ثم استشهدوا بسفر العدد (٢٤ : ١٥) وسفر التثنية (٣٣ : ٨) فقالوا بنبي وبمسيحين يُعدّون طريق الخلاص ويصلون الى انقضاء الدهر . والاشارات هنا هي الى الآيات : « وأقيم لهم نبيًّا من بين اخوتهم مثلك وألقي كلامي في فيه » . « وقال الرب لي : قد سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب » . « يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل فيحطم طرفي موآب . . . ويتسلط الذي من يعقوب ويهلك من كل مدينة من بقي » . « واللاوي قال : حقك ونورك يكونان لرجلك التقي الذي امتحنته في ذات المحنة وخاصمته على مياه الخصومة »

نقول عاد الاحبار الى هذه النصوص فانتظروا نبيًّا ممهداً ، ومسيحين واحداً من

(١) *Ploeg, van der J.*, Excavations at Qumran, 95 -105 ; *Milik, J. T.* Dix Ans, 81-82.

(٢) I Q M.

(٣) I Q M XIX ; Dupont-Sommer, A., Ecrits, 211.

هارون وآخر من اسرائيل[١]. وليس لدينا في ادب قمران ما يعيننا على التعرف بالنبي ولكننا نجد ما يفيد ان المسيحَين كانا شخصين مختلفين[٢] : فمسيح هارون هو الكاهن الاعظم الذي يظهر معنى كلام الله الحقيقي وينفّذ الشريعة الجديدة — ومن هنا لقبه « دارس التوراة » في بعض مخلّفات الكهف الرابع ؛ وهو يلقب ايضاً بالمعلم الشرعي للتفريق بينه وبين المسحاء والانبياء الكذبة.

ومسيح اسرائيل هو مسيح يهوذا التقليدي الذي يتحدر من صلب داود — ومن هنا اللقب « سمخ داود » ؛ والسمخ في العبرية والعربية واحد هو النوع . وسَمخَ الزرع بمعنى طلع . ولعل الاحبار عادوا في ذلك الى نبوة زكريا (٦ : ١٢) : « هوذا الرجل الذي اسمه النَّبت ، انه ينبت من ذاته ويبني هيكل الرب » . ومسيح اسرائيل في نصوص قمران هو زعيم سياسي فقط[٣]

ويلاحظ أن الدولة المنتَظَرة التي تقوم عند انقضاء الدهر هي ، في الادب القمراني ، دولة ثيوقراطية يرأسها كاهن وملك ، ويتقدم فيها الاول على الثاني كما جرى لليهود في عهد الفرس وعهد خلفاء الاسكندر ، او على غرار واقع الحال عند قيام الحركة القمرانية !

---

(١) I Q S, IX, 11.

(٢) *Kuhn, K. G.*, New Testament Studies, I, 1955, 163 - 179.

(٣) Journ. Bib. Lit., 1956, 174 - 177.

الفصل السادس

الجماعة والنصارى

إرنست رينان والمسيح

ولا نُريد ان نعرّف بكتاب ارنست رينان « حياة يسوع » . فرينان أمعن في التيه حتى عميت عليه وجوه الرشد ولم يعد يُقام لكتابه وزنٌ ولا يُشغَل به فكر . وانما نرغب في ذكر من اقتدى برينان وائتمّ بهديه وذهب مذهبه . نريد ان نلفت النظر الى تسرع عالم فرنسي كبير له مكانته في الاوساط العلمية الفرنسية والعالمية ، الى موقف أندره دوبون صومر André Dupont-Sommer من اعمال الكشف والاستكشاف في قمران وضواحيها ، والى كيفية ابتساره لاخبارها واعتسار الكلام فيها اعتساراً

فانه ما كاد يطّلع على « بعض » النصوص ، كما ظهرت في السنة ١٩٤٩ ، حتى اختضرها اختضاراً ، فأكد شدة التشابه بين اخبار معلم الصدق فيها واخبار السيد المسيح ، ورأى هذا التشابه من النوع الذي يفقد الرشد[1] . وتناقلت رأيه الجرائد واذاعته محطات الاذاعة فأثار عاصفة من الاحتجاج في الاوساط الكاثوليكية الفرنسية ؛ وانبرى من ناقشه الحساب فأصبح التشابه ، في ترجمة كتابه الى الانكليزية في السنة ١٩٥٢ ، من النوع الذي « يؤثر في الذهن كثيراً »[2] . ولكنه لا يزال يتنبّل برينان ويوائمه ويحاكيه فيعجب ، في كتابه الاخير « آثار الحاسيين الخطية » الذي ظهر في العام الفائت ١٩٥٩ ، بسلامة استنتاج رينان في قوله ، منذ مئة عام : ان النصرانية حاسية نجحت نجاحاً كبيراً !![3]

---

(١) *Dupont-Sommer, A.*, Aperçus Préliminaires sur les Manuscrits de la Mer Morte, (1950), 122,

(٢) The Dead Sea Scrolls, 99.

(٣) Les Ecrits Esseniens Découverts près de la Mer Morte, (1959), 23, 283, 284

النيويوركي والمسيح

واهتمت ادارة جريدة النيويوركي New Yorker لما نشرته باريز واذاعته فأوفدت احد كبار المخبرين لديها ، السيد ادموند ويلسون ، الى شاطئ البحر الميت لينقل لقرائها الخبر اليقين . فجاء ويلسون الى فلسطين واتصل بأهم الرجال ثم تحدث الى الاستاذ دوبون صومر فأثر في نفسه فنقل رسالة الاستاذ الفرنسي عبر المحيط الى العالم الجديد ، ونشر في ايار السنة ١٩٥٥ مقالاً ضافياً في موضوع المخطوطات أبان فيه ان ما تميزت به النصرانية نشأ في اوساط يهودية حاسية بين جدران خرائب قمران ، وتطوّر فأخذ شكله المعروف في الاناجيل والرسائل

وأضاف ويلسون ان الاكتشافات التي تمت في ساحل البحر الميت أقضّت مضجع الاكليريكيين الكاثوليكيين وقساوسة البروتستانت وأحبار اليهود في آنٍ واحد . فانها أبانت للمسيحيين من هؤلاء ان ما اعتقدوه مُنزّلاً هو في الواقع يهوديةٌ متطورة ، واوضحت لليهود منهم ان النصرانية ليست في حد ذاتها خروجاً على دين الآباء وانما هي مذهب من مذاهبهم ! وخلص الى القول بان مَن لا دين له اقرب الى معالجة هذه المخطوطات واهميتها ممن يقول بدين معين ، وان افضل رجال العصر للبت في هذه الامور هو اندره دوبون صومر . ولم يعلم ويلسون ، على ما يظهر ان استاذ السوربون نشأ كاهناً ثم جحد فأنكر[١]

أليغرو والمسيح

ويوحنا بن مرقس بن ألغرو Allegro انكليزي لا يزال في السادسة والثلاثين من العمر . بدأ علومه الجامعية في السنة ١٩٥١ وتخصص في اللغات الشرقية في جامعة مانشستر ثم في اوكسفورد . وما كاد ينال شهادة البكالوريوس حتى أُلحق في السنة ١٩٥٢ بجماعة المشتغلين في دروج البحر الميت . ثم عاد بعد سنة واحدة ليشغل كرسي اللغات السامية في جامعة مانشستر ! وأدى هذا التقدم السريع ، فيما يظهر ، الى شيء

(١) *Wilson E.*, The Scrolls from the Dead Sea, (Revised and Enlarged from the New Yorker, May, 1955), Oxford, 1955.

من الغرور في النفس والتسرّع في الحكم . فانه في الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٦ أذاع من محطة لندن ان بعض نصوص قمران التي لم تنشر أظهرت ان « معلم الصدق » صُلب على عهد الكسندروس ينّايوس ، وان جسده انزل عن الصليب ودفن ، وان تلاميذه انتظروا قيامته ومجيئه الثاني ، وان يسوع الناصري لم يكن اول من صلب ودفن وقام !!

وما كاد زملاء أليغرو في مدينة القدس يسمعون ما اذاعه أصغرهم سنّاً واحدثهم عهداً حتى بادروا الى تسطير رسالة مشتركة وجّهوها الى جريدة التايمس الانكليزية ، في السادس عشر من آذار سنة ١٩٥٦ ، واكدوا فيها انهم عادوا **الى جميع ما وُجد من نصوص في كهوف قمران وغيرها فلم يجدوا فيها ما يؤيد قول أليغرو** ؛ واضافوا ان أليغرو لا بد ان يكون إما قد اساء فهم بعض النصوص ، وإما قد بنى استنتاجه في اذاعته على سلسلة من الافتراضات التي لا تؤيدها النصوص

ونقلت موجات الاثير خطاب أليغرو عبر المحيط الى الولايات المتحدة فالتقطته الصحف والمجلات واتجرت به فأحدث ضجة ليس بعدها ضجة . وظن البعض ان دروج البحر الميت هزّت اركان النصرانية هزّاً !! ولم تعبأ بعض دور النشر الشهيرة بالصفعة التي تلقاها أليغرو من زملائه العلماء فطلبوا اليه اعداد اشياء للنشر ففعل فجاءت ناقصة مضلّلة[1]

داود الموحد

ورأت دار كتاب المنتور Mentor Book ان تلقي بدلوها فطلبت الى بول دافيز Powell Davies ، قسيس شيعة الموحدين في واشنطون ، ان يكتب في هذا الموضوع الدقيق فصنّف كتاباً اسماه « معنى دروج البحر الميت »[2] وضمنه تهجماً شديداً على علماء اللاهوت في الولايات المتحدة فاتهمهم بالمداهنة والخداع والتضليل ، وقال انهم يستعملون مصطلحات تعني اشياء معينة عندهم واشياء أخرى في صفوف المؤمنين العاديين . ثم قال

(١) *Allegro, J. M.*, The Dead Sea Scrolls. « The Story of the Recent Manuscript Discoveries and Their Momentous Significance for Students of the Bible », Pelican Book, 1956 ; The People of the Dead Sea Scrolls, Routledge and Kegan Paul, 1959.

(٢) *Powell Davies, A.*, The Meaning of the Dead Sea Scrolls, N. Y., 1956.

متحدياً ان نصوص قمران توجب اعادة النظر في جذور المسيحية ، وان رجال اللاهوت لا يجرأون على شيء من هذا!! ومن هنا العبارة على غلاف الكتاب : « ان في دروج البحر الميت اعظم اعتراض على صحة العقيدة المسيحية منذ ان اعلن دروين نظريته في النشوء والارتقاء »!![1] والموحدون في بريطانية والولايات المتحدة لا يعترفون بالوهية السيد المسيح

والواقع ان رجال اللاهوت كانوا ولا يزالون في طليعة من عني بهـذه الدروج منذ اللحظة الاولى التي اصبحت فيها هذه الدروج في متناول رجال البحث ، وانهم لا يزالون سبّاقين الى الحقيقة العلمية في هذا الموضوع لا يجارَون ولا يُبارَون . وهم يعترفون باهمية هذه الدروج لفهم الجو اليهودي الذي نشأت فيه نصرانيتهم ولكنهم لا يزالون يرون فروقاً جذرية هامة جداً بين تعاليم قمران وتعاليم الانجيل

الراعي الصالح ومعلم الصلاح

وراعينا الصالح الجالس عن يمين الآب هو قطب الدائرة في ايماننا . هو الكلمة الذي صار جسداً. هو احد اقانيم الثالوث القدوس به كان كل شيء وبغيره لم يكوَّن شيء مما هو كائن . هو رأس الكنيسة والنصرانية وبدونه ليس لنا كنيسة ولا وجود. اما معلم الصلاح أو « معلم الصدق » فانه كان عند الجماعة بشراً كسائر البشر لم يُستغث به ولم يُبتهل اليه ، ولم تحمل الجماعة اسمه ، ولم يُدعَوا به ولم يكن المسيح المنتظر . وجل ما وصل اليه انه كان مفسر الاسفار « بنعمة من الله »

ولم يُصلب معلم الصلاح كما يدعي أليغرو . وليس في النصوص ما يدل على ذلك . وجل ما هنالك تعليق على آية من نبوة نحوم ينص هكذا : « هو الاسد المفترس الذي علّق الناس [بشكل لم يحدث] في اسرائيل من قبل » . وما جاء بين المعقوفين هو افتراض لجأ اليه أليغرو ليسد ثلماً في المخطوط . ولو صح الافتراض ان المشار اليه هنا هو معلم الصلاح لبقي هنالك فارق كبير بين موت المسيح على الصليب وبين الصلب

(١) « The Greatest Challenge to Christian Dogma since Darwin's Theory of Evolution ».

הכבוד ואחר תגלה לו הדעת כמי
הים לרוב הוי משקה רעיהו מספח
חמתו אף שכר למען הביט אל מועדיהם
פשרו על הכוהן הרשע אשר
רדף אחר מורה הצדק לבלעו בכעס
חמתו אבית גלותו ובקץ מועד מנוחת
יום הכפורים הופיע אליהם לבלעם
ולכשילם ביום צום שבת מנוחתם שבעתה
קלון מכבוד שתה גם אתה והרעל
תסוב עליכה כוס ימין יהוה ויבוא קיקלון
על כבודכה
פשרו על הכוהן אשר גבר קלונו מכבודו
כיא לוא מל את עורלת לבו וילך בדרכי
הרויה למען ספות הצמאה וכוס חמת
תבלענו לוסי
ובכאב

مقطع من درج تفسير كتاب حبقوق (العمود ١١)

في هذا التعليق . فالمسيح مات فاديا وليس في نصوص قمران كلها ما يشير الى مثل هذا الفداء . فموت معلم الصلاح فيها حادث من حوادث تاريخ الجماعة لا جزء من ايمانهم . اما صلب المسيح وصلبيه فانهما لا يزالان من صُلبِ الايمان رغم مر العصور[1]

وليس هنالك ما يؤيد القول ان معلم الصدق ظهر في الهيكل بعد وفاته كما ادعى بذلك الاستاذ دوبون صومر في كتابه الاول[2] . فالنص الذي يستند اليه جاء في التعليق على حبقوق وليس فيه ما يبين ان الذي ظهر في الهيكل كان المعلم الصادق لا الكاهن الكاذب . ويرجح رجال الاختصاص ، كما سبق واشرنا ، ان المقصود هنا هو الكاهن الكاذب لا المعلم الصادق

مجلس الاثني عشر والرسل

ومما ذهب اليــه استاذ السوربون دوبون صومر ان معلم الصدق سبق يسوع في النظام والتنظيم فأقام مجلساً اثني عشرياً كما انتقى يسوع رسلاً اثني عشر[3] ، وان الكنيسة لم تكن في اوائل عهدها سوى نسخة عن جماعة قمران . ويتبعه اتيامبل Etiemble في شعاب الباطل فيؤكد ان مسيح الجليل لم يأتِ بشيء لم يكن معروفاً قبله عند الجماعة في قمران ، وانه جاء يعيد تمثيل الدور نفسه الذي كان قد سبقه اليه مسيح اول في عهد ارسطوبولوس الثاني[4] . ومن اعادة تمثيل هذه الرواية انتقاء الرسل الاثني عشر ، فالقمرانيون خضعوا لمجلس اثني عشري ايضاً[5] . وهي حجة واهية باطلة . ولو صح الاخذ بها لاضطررنا ان نقول مع الارلندي ان الاسماك والبشر من جنس واحد لان النوعين يخرجان من الماء مبللين. والماء في هذه الحالة هو معين **العهد القديم** الذي استقى منه القمرانيون والرسل ورسل الرسل . والمسيح نفسه قال (متى ١٩ : ٢٨) : ان

---

(١) *Culman, O.*, The Significance of the Qumran Texts for Research into the Beginnings of Christianity, Journ. Bib. Lit., 1955. 217 ; *Silver, A. H.*, Where Judaism Differed, 174.

(٢) The Dead Sea Scrolls, 27 f.

(٣) Ibid., 99 f.

(٤) Les Temps modernes, Jan., 1951, 1291 f,

(٥) *Fritsh, C. T.*, The Qumran Community, (1956), 120.

هؤلاء الرسل الاثني عشر سيجلسون هم ايضاً على اثني عشر كرسياً ليدينوا « اسباط اسرائيل الاثني عشر » . واستعارة السيد في هذا هي من العهد القديم وليس هنالك ما يحتم انهــا اخذت من أدب قران . ولم يبقَ للكنيسة مجلس اثني عشري يدير شؤونها . فانه بعد انتحار يهوذا الاسخريوطي وانتخاب متياً ليحل محله لم يعد الرسل الى الانتخاب مرة ثانية . وتوفوا وزالت بوفاتهم الهيئة الاثني عشرية . وهنالك فرق آخر بين الهيئة الرسولية وبـين المجلس القمراني . فالانظمة القمرانية اوجبت وجود ثلاثة من الكهنة في المجلس كما سبق وأشرنا . ولم يكن بين الرسل كهنة من نسل هارون او غيره

حنانيا وصفّيرة

وباع حنانيا مع صفِيرة امرأته ملكاً له . واختلس بعض الثمن وامرأته تعلم بذلك واتى ببعضه وألقاه عند اقدام الرسل (اعمال ٥ : ١ — ٢) . ولم يكن بين النصارى الاولين محتاج لان كل الذين كانوا يملكون ضياعاً او بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون باثمان المبيعات ويلقونها عند اقدام الرسل فيوزّع لكل واحد على حسب احتياجه (اعمال ٤ : ٣٤ — ٣٥) . ولكن هذه الاشتراكية النصرانية اختلفت عما كان سائداً بين الجماعة في قران في امرين اولهما ان القمراني لم يضع ملكه الشخصي تحت تصرف الجماعة الا بعد انتهاء فترة الامتحان والتدريب اي بعد سنتين من ترشيحه وكان ذلك اجبارياً . والثاني ان الاشتراكية المسيحية لم تدم الا مدة وجيزة جداً وكانت تقادمهم اختيارية

وضوء لا معمودية

وليس في مخلفات قران ، كما سبق واشرنا ، ما يدل على ان الجماعة مارسوا معمودية معينة كمعمودية يوحنا او معمودية الرسل . وجلّ ما هنالك وجوب التوضؤ مراراً وتكراراً لمناسبات متعددة[١] . ويوحنا والرسل لم يتطلبوا سوى معمودية واحدة تجري مرة واحدة ولا تتكرر . والسيد المسيح ابطل الوضوء والتطهير الذي مارسه اليهود

(١) I Q S, V, 13-14.

اجمعين حتى عهده. فقد جاء في انجيل مرقس (٧ : ١) ان الفريسيين وقوماً من الكتبة اجتمعوا الى يسوع فرأوا بعض تلاميذه يأكلون الطعام بايدٍ نجسة، اي غير مغسولة، فلاموهم، فسألوه لِمَ تلاميذك لا يجرون على سنة الشيوخ ولكن يأكلون الطعام بأيدٍ نجسة. فقال «لا شيء مما هو خارج عن الانسان اذا دخله يمكن ان ينجسه بل ما يخرج من الانسان هو الذي ينجس الانسان». وليس في غسل الارجل وقت العشاء الرباني ما يفيد بشيء من الوضوء والتطهير الشائعين عند اليهود. فانه السيد قال بعد ان غسل الارجل (يوحنا ١٣ : ١٣) : «انتم تدعونني معلماً ورباً وحسناً تقولون لاني كذلك. فاذا كنت انا الرب والمعلم قد غسلت ارجلكم فيجب عليكم انتم ان يغسل بعضكم ارجل بعض لاني اعطيتكم قدوة». ويلاحظ هنا فرق آخر بين ما كان يجري من اغتسال وتطهير ووضوء عند اليهود وفي قران من جهة والمعمودية المسيحية من الجهة الاخرى، وهو ان الاغتسال في قران لم يرتبط بشخص معلم الصدق، وان معمودية يوحنا لم تؤذن بالدخول في منظمة معينة. اما المعمودية فانها كانت ولا تزال باسم المسيح وله[١]، وهي في النصرانية ذات مفعول ما خطر قط ببال: انها علة ولادة جديدة تشرك الانسان في حياة الله وفي قداسته.

الوجبة المقدسة وسر الشكر

وقد التفت عدد من رجال الاختصاص الى وجبات الطعام في قران واعاروها اهتماماً خصوصياً ورأوا فيها ما يوازي سرّ الشكر عند النصارى ولاسيا وان الوثيقة ذات العمودين تذكر وجبة يقدم فيها الخبز والخمر ويشترك فيها المسيحان الكاهن الاعظم وسليل داود فيجعلانها ترمز الى المملكة المسيحية المنتظرة[٢]. والواقع انه ليس بين سر الشكر وهذه الوجبة المقدسة من خصائص مشتركة سوى استعمال الخبز والخمر. فالمسيحيون الاولون والمتأخرون يرون في ممارسة سر الشكر، مع بولس الرسول،

(١) *Burrows, M.*, Dead Sea Scrolls, 286, 320 f., 332, 339, 373, 377; More Light 59, 115, 372; *Milik, J. T.*, Dix Ans, 66-67. Rowley, H. H., The Dead Sea Scrolls and the New Testament, (1957), 13-16; *Ploeg, van der J.*, The Excavations at Qumran, 211-212.

(٢) I Q S a, II, 11-22; Discoveries in the Judaean Desert, (Barthelemy and Milik), I, 110 f., 117 f., pl. XXII.

« إخباراً بموت الرب الى ان يأتي » . ويرون ايضاً مع السيد نفسه ان الخبز الذي يأخذون هو جسد الرب وان الكأس التي يشربون هي دمه للعهد الجديد « الذي يهراق عن كثيرين » . وليس في الأدب القمراني كله شيء من هذا

ويشك رجال الاختصاص في ان تكون وجبات الطعام اليومية التي مارسها الحاسيون ، كما جاء في تاريخ يوسيفوس وفي كلام فيلون[١] ، مقدسة . فتناولُ الخبز والخمر فيها كان امراً عادياً في ذلك العصر ، شائعاً في جميع الاوساط اليهودية ولمناسبات عديدة متنوعة . ويكون عندئذٍ ورود ذكر الخبز والخمر في الوجبة الكبرى المنتظرة وروداً عرضياً لا جوهرياً ، ويصبح الامر المهم في وصف هذه الوجبة تقدم الكاهن الاعظم على المسيح سليل داود[٢]

الفوارق العمومية

وهنالك بالاضافة الى ما تقدم شرحه فوارق عمومية بين النصرانية والقمرانية تجعل منهما حركتين مختلفتين في الجوهر . فالقمرانية بقيت مذهباً يهودياً ولم تخرج من هذا الدور ابداً . اما النصرانية فانها كانت ولا تزال رسالة عالمية . هكذا ارادها السيد المسيح ، وقد عبّر عن ارادته الالهية قبل ارتفاعه الى السماء بقوله لرسله واعقابهم من بعدهم على تعاقب الزمن : « لقد دُفع الي كل سلطان في السماء وعلى الارض : فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أناذا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر» (متى ٢٨ : ١٨ — ٢٠) وقال لهم ايضاً : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) . وهكذا فان الكرز بيسوع شمل اليهود والأمم فخرجت النصرانية بذلك من دور مذهب يهودي الى رسالة عالمية كبرى

ولم تكن مملكة يسوع من هذا العالم (يوحنا ١٨ : ٣٦) ، ولم تقم بالسيف لان كل من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك (متى ٢٦ : ٥٢) ، وانما قامت وتقوم بمحبة الله

(١) *Josephus*, Bell. Jud., II, 8 ; Antiq., XVII, 1 ; *Philon*, Quod omnis, 86 ; Apologia, 11.

(٢) *Borrows*, M., More Light, 115, 268, 300, 365 ff.

للبشر وبتجسد ابنه الوحيد واعتلائه الصليب وموته لاجل البشر وقيامته من الموت . اما جماعة قمران فانهم استعدوا لخوض معركة زمنيــة بالسيف . ولم يبقَ بعد تجسد المسيح اي تقدم لأي طبقة على اخرى كما كانت الحال في قمران وبين اليهود اجمعين . « ولو كان بالكهنوت اللاوي كمال فاية حاجة كانت بعد ان يقوم كاهن آخر على رتبة ملكيصادق . فان ربنا خرج من يهوذا من السبط الذي لم يصفه موسى بشيء من الكهنوت »

●

ويطيب لنا[1] ، في هذا الباب ، ان ننقل شهادة كبير بين الأدباء ومفكّري العالم العربي هو الاستاذ عباس محمود العقّاد الذي بعد اذ اطّلع ، بكل ما هو معروف عليه من رصانة في النقد ودقة في التقصّي ، على ما انتهت اليه بحوث العلماء في شأن مخطوطات البحر الميت او لفائف وادي قمران ، يخرج بهــذه الشهادة : « ان الجديد في الامر لا يزال من **عمل السيد المسيح** او من فتوحه المبتكرة في عالم الروح . . . وان كل مشابهة بين السيد المسيح وبين مذاهب الدين قبل عصره تنتهي **عند الظواهر والاشكال** ولا تدلّ عــلى فضل اسبق من فضله في ما ارتقت اليه عقائد الدين على يديه[2] » . وتوضيحاً لحكمه وشهادته ننقل المقطع كله الذي يتعلق بكشوف البحر الميت ؛ قال الاستاذ العقاد :

« لقد كنا نقرأ في الصحف والمجلات ان لفائف وادي القمران تشتمل على نسخة كاملة من كتاب اشعيا ، ونسخة مقروءة سليمة بعض السلامة من تفسير نبوّات حبقوق التي حققتها الحوادث التالية ، وشذرات من تفسير كتاب ميخا ، وقصة تسمى قصة الحرب بين ابناء النور وابناء الظلام ، واناشيد منظومة للدعاء والصلاة ، ونسخة آرامية من كتاب غير معتمَد بين كتب التوراة ، وقصاصات متفرّقة من كتب شتى تلحق بكتب العهد القديم ، ونسخة مفصلة لآداب السلوك المرعية بين جماعة النسّاك الذين اقاموا زمناً بصومعة وادي القمران ، وكلها مودعة في جرار كبيرة يوجد الكثير منها

(١) هذا الملحق ننقله هنا « المسرّة »
(٢) حياة المسيح ص ١٥

في بعض الكهوف المجاورة ، ويبدو من اجل ذلك انها قد تشتمل على ودائع من هذا القبيل لا تقدّر عند العلماء الحفريين وعلماء المقابلة بين الاديان وجمهرة اللاهوتيين على الاجمال

ولو ان احداً اراد ان يحيط باطراف الكتب والرسائل التي تناولت مسائل البحث في تلك اللفائف خلالَ السنوات الخمس الاخيرة لما استوعبها جميعاً ولو فرغ لها كل وقته ؛ وحسبُ القارئ العربي ان يعلم انها بُحثت من كل ناحية تشترك في موضوعاتها الدينية او اللغوية او التاريخية او الحفرية او الكيماوية او الصناعية ، ولم تخلُ منها لغة من لغات الحضارة الغربية : فقد تناولت البحوث مسائل الهجاء وقواعد الكتابة ، واختلاط اللهجات واللغات ، ومواد الورق والجلد والمداد واللصق والتجفيف ، كما تناولت اسماء الاعلام وما اليها من الالقاب والصفات وما يقترن بها من تواريخ الشعوب والقبائل ، ومواقع الارض وعوارض الجو والفلك واصول العقائد وشعائر العبادات في كل فترة على حسب حظّها من الاصالة او الاستعارة ، وعلى حسب المصطلحات التي تلازمها ولا تُعهد في غيرها . واتسع نطاق البحث الى غاية حدوده لتحقيق نماذج البناء ، وصناعة الآنية الفخارية ، وعادات الاكل والشرب ، وازياء الكساء ، ومواد الاطعمة ، وثمرات النبات ، وتراوحت تقديرات الزمن بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الاول بعد الميلاد ، ولم تستقر بعد كل هذا التوسع وكل هذا الامعان والتدقيق على قرار وثيق

ومن البديهي اننا لم نستوعب هذا الطوفان الزاخر من الفروض والنقائض ، وعلى كل ما في هذه البحوث من مواضع المراجعة والعدول ، ومواضع التشكيك والترجيح ، بل نحن لم نشعر بضرورة الاستيعاب والاستقصاء لكي نخلص منه الى القول الجديد في تاريخ السيد المسيح ، ولكننا عمدنا الى نخبة من كتب الثقات التي ألمّت برؤوس المسائل ولخصت محور الخلاف ومبلغه من الدلالة في كل مسألة منها ، وخرجنا منها بالخلاصة المطلوبة في ما يعنينا ، فكانت هذه الخلاصة **ان الجديد في الامر لا يزال من عمل السيد المسيح او من فتوحه المبتكرة في عالم الروح ، وان كل مشابهة بينه ، عليه السلام ، وبين مذاهب الدين قبل عصره ، تنتهي عند الظواهر والاشكال ، ولا تدلّ على فضل اسبق من فضله في ما ارتقت اليه عقائد الدين على يديه**

ولعلّ ارجح الاقوال التي خلصتْ اليها اكثر البحوث والمناقشات ان نساك صومعة القمران كانوا زمرة من « الآسيين » ، احدى الطوائف المتشدّدة في رعايتها للاحكام الدينية ، وانتظارها للخلاص القريب بظهور المسيح الموعود . وهذه الطوائف اقرب الطوائف الاسرائيلية الى التطهّر من ادران المطامع والشهوات ، وانهم كانوا ينتظمون في النحلة على ثلاث درجات ، وأن أحدهم يقسم مرّة واحدة يمين الامانة والمحافظة على سرّ الجماعة ؛ ويحرّم عليه القسم بالحقّ او بالباطل مدى الحياة . . . والمادة عندهم مصدر الشر كله ، والسرور بها سرورٌ بالدنس والخباثة ؛ وكانوا يتآخون ويصطحبون اثنين اثنين في رحلاتهم . وهم مؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلص ؛ معتقدون ان الخلاص بعثٌ روحاني يهدي الشعب الى حياة الاستقامة والصلاح

فاذا صح ان زمرة وادي القمران كانت تنتمي الى الآسيين(١)، وصحّ اكثر من ذلك أن صومعتهم كانت هي البرّية التي كان يلوذ بها السيد المسيح ويوحنا المعمدان – فالجديد في هذا الكشف هو **توكيد الحاجة الى رسالة السيد المسيح** ، او توكيد فضل **الدعوة المسيحية في اصلاح عقائد القوم** كما وجدتها على ارقاها وانقاها بين اتباع **النحل اليهودية** قُبيل عصر الميلاد

فالكتب الاسينية – او الآسية – التي وُجدت في الصومعة تصف لنا نظام الجماعة وآداب سلوكها وشدة حرصها على الشعائر الموروثة بين قومها ، ولكنها لا تزال مصابة بداء القوم الذي انتهى الى غاية مداه في تلك الفترة ، وهو داء **الجمود على النصوص والحروف** ، والانصراف عن جوهر العقيدة ولباب الايمان ؛ ولا تزال النحلة الآسينية نفسها ادلّ على الحاجة الى الاصلاح من النحل المتهمة او المحاطة بالشبهات ، لأن النحلة المتهمة تجد اصلاحها عند الراشدين من ابناء الديانة القائمة ، وكل نحلة يهودية زائغة عن سوائها تجد من يقوّمها من العارفين باستقامتها في نطاق الديانة اليهودية ولكن الحاجة الى الاصلاح انما تثبت كل الثبوت اذا بلغت النحلة ارقى ما تبلغه ،

(١) نرجّح ان الاسم مأخوذ من كلمة « الآسي » بمعنى الطبيب ، وهي تقابل كلمة الترابيين اليونانية بمعنى المتطبّبين Therapeuts (العقاد)

واستنفدت كل طاقتها تهذيباً وتطهيراً واخلاصاً وتذكيراً ، **ولم تزل بعد ذلك قاصرة عن تزويد الروح بما تتعطش له وتفتقر اليه**

وكذلك كانت النحلة الآسينية التي كشفت عنها لفائف وادي القمران ، اياً كان اسمها ، واية كانت وجهتها ، **فانها لم تمهّد لرسالة السيد المسيح الا كما يمهّد المريض للعلاج او يمهّد الداء للدواء** . ولا شك في ان اللفائف المكشوفة ذخيرة نافعة في بابها ، ولكنها **لا تضيف الى معلوماتنا عن حقائق الرسالة المسيحية** ، ولا تخرجنا بشيء **جديد** في امر هذه الرسالة غير انها تؤكد لنا فضلها ولزومها في اوانها . فمهما يكن من غرض النحلة الآسينية فهي في اصولها وفروعها بقيةٌ محافظة على تراثها ، متشدّدة في محافظتها ، ناظرة الى امسها حتى في التطلّع الى الغد المرجو انتظاراً للمخلص الموعود على حسب النبوات الغابرة . وهــذه الآفة الوبيلة – آفة التشدد في عبادة المراسم والنصوص – كانت الدعوة المسيحية رسالة لازمة تعلّم الناس ما هم في حاجة الى ان يتعلموه كلما غرقوا في لجة راكدة من الحروف الميتة والاشكال المتحجرة ، تعلمهم ان العقيدة مسألة فكرة وضمير ، لا مسألة حروف واشكال . . . وهذه هي رسالة السيد المسيح في ذلك العصر الموبوء بجموده وريائه على السواء ، لان الرياء انما هو في باطنه جمود على وجهه طلاء » (حياة المسيح ١٤ – ١٧)



- الفهرس الهجائيّ العام
- «بيبليوغرافيّا» قرآنيّة
- فهرس الرسوم والخرائط

إعداد
وسام بشاره كبكب
دكتور في التاريخ

كانت مجلّة «المسرّة» أولى المجلاّت العربيّة – دينيّة ومدنيّة – التي نشرت عن «مخطوطات البحر الميّت وجماعة قمران» دراسة وافية شاملة من تأليف الدكتور أسد رستم، مؤرّخ الكرسيّ الأنطاكيّ، وقدّمتها عام ١٩٥٩ هديّة سنويّة لقرّائها.

ولمّا أخذت المكتبة البولسيّة على نفسها إعادة طبع مؤلّفات المرحوم الدكتور أسد رستم تباعًا، ووصلت إلى مؤلّفه هذا، كان العلماء قد أتحفوا المكتبات الأجنبيّة خصوصاً بمؤلّفات جديدة ألقت على الموضوع أضواء كاشفة، وقدّمت نظريّات وتحاليل كثيرة، تاريخيّة وعلميّة وأرخيولوجيّة. فلم نرد أن نبدّل شيئًا في نصّ الكتاب، بل عهدنا إلى الزميل الدكتور وسام بشاره كبكب في وضع «بيبلوغرافيّا» عن الكتب ومقالات المجلاّت التي ظهرت بالعربيّة والأجنبيّة منذ تاريخ اكتشاف «مخطوطات البحر الميّت»، عام ١٩٤٧، حتّى اليوم.

فأكبّ كعادته على العمل بكل دقّة وإتقان وتحسّس علميّ، فزار مكتبات الجامعات الكبرى في لبنان، على قدر ما سمحت له ظروف الحرب القاسية، واطّلع على كلّ ما فيها من مؤلّفات ومقالات ونظّم بها فهرسًا كاملاً شاملاً أضفناه إلى نص كتاب الدكتور أسد رستم، علّنا بذلك نسدّ شيئًا من الفراغ الذي نحن فيه، ومن تعطّش القارئ العربيّ إلى مزيد من التعمّق في موضوع اكتشاف عظيم، مثل اكتشاف «مخطوطات البحر الميّت وجماعة قمران» التي خبأت منذ ألفي سنة تقريبًا هذا الكنز الروحيّ والكتابيّ الذي لا يقدّر بثمن.

وإلى «البيبلوغرافيّا» أضفنا كذلك، تتمةً للفائدة، فهرسًا هجائيًّا بالمواضيع التي وردت في الكتاب.

جونيه، في ٤ نيسان ١٩٩٠ — **دائرة النشر**

فهرس هجائي عام

— ن —

— هـ —

«بيبلوغرافيّا» قمرانيّة

فهرس المصادر والمراجع

المتعلّقة بموضوع «قمران» وقد ورد بعضها في هوامش الكتاب

أولاً : فهرس المصادر والمراجع العربيّة

أسفار العهد القديم

حمادة (حسين عمر –) : ***مخطوطات البحر الميّت***، دار منارات للنشر، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ١٤٨ صفحة.

ديب (سهيل –) : **التوراة بين الوثنيّة والتوحيد**، دار النفائس، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م)، ص ٨٣ – ٩٧

رابطة الكتّاب المسيحيّين : **الكتاب السنويّ**، ١٩٥٦

سابا (الأب جورج –) : **على عتبة الكتاب المقدّس**، منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ٣٦٠ صفحة.

صادر (قيصر –) : «***مخطوطات قمران***»، مقال في **المسرّة**، السنة ٦٠ (١٩٧٤)، ص ٧١٣ – ٧٢٢

«**فحوى *مخطوطات قمران***»، مقال في **المسرّة**، السنة ٦٠ (١٩٧٤)، ص ٨٤٣ – ٨٥٠

صموئيل (المطران أثناسيوس يشوع –) : **كنز قمران مدارج البحر الميّت**، ترجمة الدكتور القس ألفونس شوريز، مراجعة وتنقيح ونشر ثاوفيلوس جورج صليبا، ١٩٨٥، ٢٧٢ صفحة.

العابدي (محمود –) : ***مخطوطات البحر الميّت***، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان ١٩٦٧.

ولبي (القس جيمس –) **ومطر** (ابرهيم –) : ***مخطوطات البحر الميّت وجماعة قمران***، مكتبة المشعل الإنجيلية، بيروت ١٩٥٧، (أ – ه – + ٨٨ صفحة.

ثانيًا : المصادر والمراجع الأجنبية

ABEL (F.M. -): *Histoire de la Palestine*, 1952, T. 1.

ABRAMSON (S. -) and GINSBERG (H.L. -) : «*On the Aramaic Deed of Sale of the third year of the Second Jewish Revolt*», art. in *Bull. Am. Sch. Or. Res.*, 1954, 17 ff.

ALBRIGHT (W.P. -): *«The Nash Papyrus»*, art. in *Journ. Bib. lit.*, 1937, 145-176.

ALLEGRO (John M. -): *V. Qumran cave 4*, Tome I, with the collaboration of Arnold A. Anderson, Oxford, at the Clarendon Press, 1956.

The Dead Sea Scrolls, «the story of the Recent Manuscript Discoveries and Their Momentous Significance for Students of the Bible», Pelican Book, 1956;

(Penguin Book), Harmondsworth 1956; Great Britain 1957

The People of the Dead Sea Scrolls, Routledge and Kegan Paul, 1959

ANONYME: *Bull. Am. Sch. Or. Res.*, 1951, 24-26.

The Jerome Biblical Commentary, Two Volumes in One: Vol. I: The Old Testaments; vol.II: The new and Topical Articles, Edited by Raymond E.Brown, Joseph A.Fitznger and Roland E.Murphy, New Jersey 1968, 637/889 pp

Journ. Bib. Lit., 1956, 174-177, 185...

«Quelques textes Hébreux de Murabbaat», in *Rev. Bib.*, 1953, 268-275.

«Qumran, Cave I, 21», art. in. *Rev. Bib.*, 1955, 398-406; 1956, 66

Rev. Bib., 1955, 297-298; 1956, 401-415

Spicilegium Patrum, Oxford, I: 145,253

Le Targum de Job de la grotte XI de Qumran, Edité et traduit par J.P.M. Van der Ploeg, O.P. et A.S. Van der Wonde, avec la collaboration de B. Jongeling. Koninklijke Nederlandse Akademie Van Wetenschappen, Leiden, E.J. Brill 1971, VIII + 131 pages.

Les Temps modernes, Janv. 1951, 1291 f.

AVIGAD (N. -), YADIN (Y. -): *A Genesis Apocryphon A Scroll from the wilderness of Judaea*. Description and contents of the Scroll, fascimiles, Transcription and Translation of Columns II, XIX-XXII, Jèrusalem 1956.

BAILLET (M. -): *Rev. Bib.*, 1956, 513-523

BARDTKE (H. -): *Die Handschriftenfunde am Toten Meer*, Berlin, 1952.

BARTHELEMY (D. -): *«Redécouverte d'un chaînon manquant de l'Hist. de la Septante»*, art. in *Rev. Bib.*, 1953, 18-29.

BARTHELEMY (D. -) and MILIK (J.T. -): *Discoveries in the Judaean Desert*, Oxford Univ. Press, 1955.

BARTHELEMY (D.-, O.P.) and MILIK (J.T. -) with others: *Qumran Cave I* (Discoveries in the Judaean Desert, I), Oxford 1955.

BAUMGARTEN (J.M. -): *«Qumran Studies»*, art. in *Journ. of Bib. Lit.*, 1958, 249-257

BROWNLEE (W.H. -): *«The Hist. Allusions of the Dead Sea Habakkuk Midrash»*, in *Bull. Am. Sch. Or. Res.*, 1952, 10-20

«Muhammad ed-Deeb's story of his Own Discovery», in *J.N.E.S.*, 1957, 236-239.

BURROWS (Millar -): *The Dead Sea Scrolls*, New York 1955.

Les Manuscrits de la Mer Morte Traduit de l'américain par M.GLOTZ, et M.-T. FRANCK, Robert LAFFONT, Éditeur, Paris, 1957; Bibliothèque des Grandes Énigmes, Paris, 1975,

New Light on the Dead Sea Scrolls, 1958.

More Light on the Dead Sea Scrolls.

Lumières nouvelles sur les Manuscrits de la Mer Morte, Traduit de l'anglais par Gabrielle RIVES, Robert Laffont, Éditeur, Paris, 1959.

BURROWS (M.), TREVER (J.C. -), BROWNLEE (W.H.-): *The Dead Sea Scrolls of St Mark's Monastery*, 2 Tomes, New Haven, 1950-1951

The Isaih Manuscript and the Habbakuk Commentary, 1950.

CARMIGNAC (J. -) et GUILBERT (P. -): *Les Textes de Qumran*, Traduits et Annotés, Vol. I, Coll. «Autour de la Bible», Lib. Letouzey et Ané, Paris, 1961

CARMIGNAC (J. -), COTHENET (É. -), LIGNÉE (H. -), *Les Textes de Qumran*. Traduits et Annotés, Vol. 2, Lib. Letouzey et Ané, Paris, 1963

CASTEL (François -): *Histoire d'Israël et de Juda*. Editions du Centurion, Paris, 1983.

CHARLES (R.H.-): *Apocrypha and Pseudepigrapha*, 1913, II.

COLLIER (D. -): *«New Radiocarbon Method for Dating the Past»*, art. in *Biblical Archaeologist*, 1951, 25-28.

CROSS (Frank Moore -, Jr.): *The Ancient Library of Qumran and modern biblical studies. A comprehensive survey of the Dead Sea Scrolls and the community which owned them*, Revised edition, the Haskell Lecturers 1956-1957, Doubleday and Co.;

Scrolls from the Wilderness of the Dead Sea, San Fransisco, California 1969.

«A Manucript of Samuel in an Arabic Jewish Bookhand from Qumran: 4 Q Sam^{b}», art: in *Jour. Bib. Lit.*, 1955, 45-48.

«La lettre de Simon ben Kosba», art. in *Rev. Bib.*, 1956, 45-48.

CROSS (F.M. -) et SKEHAN (P. -): *«Textes Bibliques de la Grotte 4»* art. in *Rev. Bib.*, 1956, 56-60.

CULMAN (O. -): *«The Significance of the Qumran Texts for Research into the Beginnings of Christianity»*, art. in *Journ. Bib. Lit.*, 1955, 217...

DANIÉLOU (Jean -): *Les Manuscrits de la Mer Morte et les Origines du Christianisme*, Éditions de l'Orante, Paris, 1957

Philon d'Alexandrie, 1958.

DAVIES (Powell -): *The Meaning of the Dead Sea Scrolls*, The New English library,

London, 1956; A Signet Key Books, Published by the new American Library, 1956.

DELCOR (M. -): *Les manuscrits de la Mer Morte — Essai sur le Midrash d'Habacuc*, Paris, 1951. Coll. «Lectio divina» 7. Editions du Cerf, Paris.

Qumrān. Sa piété, sa théologie et son milieu, Coll. «Bibliotheca Ephemeridum Theologicarum Lovaniensium», XL VI, Paris — Gembloux, Editions Duculot; Leuven, University press, 1978

DETAYE (C. -): *«Le Cadre Hist. du Midrash* d'Habacuc», art. in *Eph. Theol.*, Lovanienses, 1954, 323-343.

MEDICO (H.E. Del -): *Deux manuscrits de la Mer Morte*, Essai de traduction du «Manuel de Discipline» et du «Commentaire d'Habacue», Paris, 1951.

L'Enigme des Manuscrits de la Mer Morte, 1957

DOMBROWSKI (B.W. -): *The Idea of God in 1 Q Serek*, Extrait de la *Revue de Qumran*, N⁰ 28, t.7, Déc. 1971, fasc. 4, pp. 515-531

The Meaning of the Qumran terms T'WDH and MDH., Extrait de la *Revue de Qumran*, N⁰ 28, t.7, Dec. 1971, fasc 4, pp. 567-574.

DUPONT-SOMMER (A. -): *The Jewish Sect of Qumran and the Essenes.*

Aperçus Préliminaires sur les manuscrits de la mer Morte, Coll. «L'Orient ancien illustré» (4), Maisonneuve, Paris, 1950

Observations sur le Commentaire d'Habacuc découvert près de la mer Morte, 1950.

Observations sur le Manuel de Discipline découvert près de la mer Morte, 1951.

Nouveaux Aperçus sur les Manuscrits de la Mer Morte, Coll. «L'Orient ancien illustré» (5), Maisonneuve, Paris, 1953.

Les Ecrits Esséniens Découverts près de la Mer Morte, 1ère édition (1959); 3ème édition, PAYOT, Paris, 1968.

The Essene Writings from Qumran, Trad. G. Vermes, World Publ. Co., New York 1961.

Les Manuscrits de la Mer Morte, L'Orient Ancien illustré N⁰ 4, Librairie A. Maisonneuve, Paris, 1950; P.U.F., Paris, 1964.

«Le "Commentaire d'Habacuc" découvert près de la Mer Morte», art. in *Revue de l'Histoire des Religions*, t. 137, 1950, pp. 129-176

«Les Rouleaux de cuivre trouvés à Qumran», art. in *Rev. Hist. Rel.*, 1957, 22-36.

DRIVER (J. H. -): *The Hebrew Scrolls from the Neighbourhood of Jericho and the Dead Sea*, London, 1951.

EISSFELDT (O. -): *«Der Anlass zur Entdectung der Hohle und ihre Ahuliche Vorgange»*, art. in *Th. Lit. Zeit.*, 1949, 597-600.

ELLIGER (K. -): *«Studien zum Habakuk Kommentar»*, art. in *Beit. zur Hist. Theol.* 1953.

FITZMYER (Joseph A. -, S.J.): *The Genesis Apocryphon of Qumran Cave I.* A Commentary, Second revised edition, Coll. Biblica et Orientalia, N⁰ 18 A., Rome, Biblical Institute Press, 1971

Essays on the Semitic Background of the New Testament, Sources for Biblical Study 5 Society of Biblical literature, and scholars Press, Missoula, Montana, 1974

The Dead Sea Scrolles, Coll. «Society of Biblical Literature; sources for Biblical Study» N⁰ 8, Missoula, Montana (U.S.A.), Scholars press, 1977

FRITSCH (Charles -): *The Qumran Community*, 1956.

«Herod the Great and the Qumran Community», art. in *Journ. Bib. Lit.*, 1955, 173-181.

GASTER (Theodor H. -): *Dead Sea Scrolls*,

The Dead Sea Scriptures in English Translation, New York, 1956

Scriptures of Dead Sea Sect, 1957.

The Dead Sea Scriptures, New York, 1964.

GÄRTNER (Bertil -): *The Temple and the Community in Qumran and the new Testament*, Coll. Society for New Testament Studies, Monograph Series N⁰ 1, Cambridge Univ. Press, London 1965.

GLOT'Z (G. -): *Alexandre et le Démembrement de son Empire*, 1945

GUINDON (W. G. -): *«Radio-active Carbon and the Dead Sea Scrolls»*, art. in *Cath. Bib. Quart.*, 1951, 268-275

HARDING (G. Lankester -): *The Dead Sea Scrolls and Exacavations.*

«The Dead Sea Scrolls», in *Illustrated London News*, 1-10-1949.

JAUBERT (A. -): *Vetus Testamentum*, 1953, 250-263.

«La Date de la Dernière Cène», art. in *Rev. Hist. Rel.*, 1954, 140-173.

JONGE (M. de -): *The Testaments of the Twelve Patriarchs. A study of their Text, Composition and Origin*, Assen, 1953.

JONGELING (Dr. B. -): *A classified Bibliography of the finds in the Desert of Judah 1958-1969*, Coll. Studies on the Texts of the desert of Judah, Vol. VII, Leiden, E.J. Brill, 1971.

JOSEPHUS: *Ant. Jud.*, XI, 8

KAHLE (P. -): *«Die Textkritische Bedeutung der Jesaia - Rolls»*, art. in *Theologische Literaturzeitung*, 1949, 91-94; 1950, 537-542; 1951, 161-166; 1952, 401-412

«The Age of the Scrolls», art. in *Vetus Testamentum*, 1951, 44.

Kelso (K. L. -): *«The Archeology of Qumran»*, art. in *Journ. Bib. Lit.*, 1955, 141-146.

Kraeling (Emil G. -): *Rand McNally Bible Atlas*, New York, 1962.

Kuhn (K.G. -): *New Testament Studies*, I, 1955, 163-179.

Lambert (G. -): *«Traduction de quelques psaumes» de Qumrān et du «pêsher» d'Habacuc*, art. in *Nouvelle Revue Théologique*, 1952, pp. 284-297.

Laperrousaz (E.-M. -): *Qoumrān. L'Etablissement Essènien des bords de la Mer Morte.* Histoire et archéologie du Site, Paris, Éditions A. & J. Picard, 1976.

Lehmann (O.H. -): *«A Legal certificate from Bar Cochba's Days»*, art. in *Vetus Testamentum*, 1953, 391-396

Lemaire (André -): *Les Ministères aux Origines de l'Eglise*, Cerf, Paris, 1971.

Lods (A. -): *Histoire de la Littérature Hébraïque et Juive*, 1950.

Mansour (Meanhem -): *The Dead Sea Scrolls*, Leiden E.J. Brill, 1964.

Margoliouth (G. -): *«The Saducean Christians of Damascus»*, art. in *The Expositor*, 1911, 499-517; 1912, 213-235.

Martin (F. -): *Le Livre d'Henoch*, 1906.

Martini (Carlo M. -): *Notes on thes papyri of Qumran Cave 7.*, Supplement to *JBL* 91 (1972), N° 2, S.1. Society of Biblical Literature, 1972.

Mercati: *Studie Testi*, V, 1901, 28 f.

Milik (J.T. -): *Dix ans de Découvertes dans le Désert de Juda*, préface de R. de Vaux, O.P., Éditions du Cerf, Paris, 1957.

«Fragments d'un midrash de Michée dans les manuscrits de Qumrān», art. in *Revue Biblique*, 1952, pp. 412-418

«Une Inscription et une lettre en Araméen Christopalestinien», art. in *Rev. Bib.*, 1953, 526-539.

Des Articles in *Verbum Domini* depuis 1950.

Des Articles in *Biblica* depuis 1950.

Molin (G. -): *Die Söhne des Lichtes. Zeit und Stellung der Handscriften Vom Toten Meer*, Vienne, 1954.

Mowinckel (S. -): *He That Cometh*, 1956.

North (R. -): *«Qumran and Its Archeology»*, art. in *Cath.Bib. Quart.*, 1954, 426-437

Noth (M. -): *«Der Alttestamentliche Name der Siedlung auf Khirbet Qumran»*, art in *Zeit. Palest. Ver.*, 1955, 111-123

O'CALLAGHAN (José -): *New Testament papyri in Qumran Cave 7?*, supplement to *J.B.L.* 91 (1972), N⁰ 2, S.L. Society of biblical literature, 1972

PAUL (André -): *Ecrits de Qumran et Sectes Juives aux premiers siècles de l'Islam. Recherches sur l'Origine du Qaraïsme*, Editions Letouzay et Ané, Paris, 1969.

PHILON : *Quod Omnis Probus Liber.*

PLINIUS Secundus: *Naturalis Historia*, V.

PLOEG (J. van der -): *The excavations at Qumran*, 1958.

«Les rouleaux de la Mer Morte», art. in *Bibliotheca Orientalis*, 1951, pp. 1-13.

PLOEG (J. van der -) et autre: *La Secte de Qumrān et les Origines du Christianisme*, Coll. Recherches Bibliques IV, Desclée de Brouwer, 1959.

RABIN (Ch. -): *The Zadokite Documents*, 1954.

Qumran Studies, Oxford, 1957.

RABINOWITZ (J. J. -): *«Some Notes on an Aramaic Contract»*, art. in *Bull. Amer. Sch. Or. Res.*, 1954.

RICCIOTTI (Giuseppe -): *La Bible et les Découvertes Récentes*, Traduit de l'italien par Annie MESRITZ, Office de Publicité, S.A., Éditeurs, Bruxelles, 1959.

ROBERTS (B.J. -): *Some observations on the Damascus Document and the Dead Sea Scrolls*, 1952

The Dead Sea Scrolls and the Old Testament Scriptures, Manchester, 1953.

ROTH (C. -): *The Historical Background of the Dead Sea Scrolls*, 1958.

«Le Point de vue de l'historien sur les manuscrits de la Mer Morte», art. in *Evidences*, 1957, 37-43; 1958, 13-18.

ROWLEY (H.H. -): *The Zadokite Fragments and the Dead Sea Scrolls*, Oxford 1952.

The Dead Sea Scrolls and the New Testament, 1957.

SCHECHTER (S. -): *Documents of Jewish Sectaries*, 1910.

SEGERT (S. -): *«Ein Alter Bericht uber den Fund Hebraischer Handschriften in einer Hohle»*, art. in *Archiv. Orientalni*, 1953, 263-269

SELLERS (O. R. -): *«Date of Cloth from the Scrolls Cave»*, art. in *Bib. Arch.*, 1951, 29

SILVER (A.H. -): *Where Judaism Differed.*

STARCKY (J. -): *«Un Contrat Nabatéen sur Papyrus»*, art. in *Rev. Bib.*, 1954, 161-181.

STAUFFER (E. -): *«Zur Fruhdatierung des Habakukmidrash»*, art. in *Theol. Lit. Zeit.*, 1951, 667-674.

SUKENIK (E. -): *The Dead Sea Scrolls of the Hebrew University*, Jerusalem, 1955.

TALMON (M. S. -): *Biblica*, 1951, 549-563.

TARN (W. W. -): *Conquest of Persia*, Com. Anc. Hist. VI.

TEICHER (J. L. -): *«The Dead Sea Scrolls - Documents of the Jewish Christian Sect of Ebionites»*, art. in *Journ. of Jewish Studies*, 1951, 67-99, 115-143; 1952, 53-55, 87-88, 111-118, 128-132, 139-150; 1953, 1-13, 49-59, 93-103, 139-153; 1954, 38, 93-99, etc...

TREVER (J.C. -): *Bull. Am. Sch. Or. Res.*, 1949, 22.

TISSERANT (E. -):*Rev. Bib.*, 1921, 55-86.

VAUX (R. de -): *«Les Grottes de Murabbaat»*, art. in *Rev. Bib.*, 1973, 245-267
«Compte-Rendu», in *Rev. Bib.*, 1953, 83-106, 540-561; 1954, 206-236; 1956, 533-577.

VERMÈS (Géza -): *Les Manuscrits du Désert de Juda*, Desclée et Cie Éditeurs, Tournai (Belg.), 1953, Paris, 1953, 1954.

The Dead Sea Scrolls in English, A Pelican Book A 551, Penguin Books, London, 1962.

Cahiers Sioniens, 1953, 71-74.

VINCENT (Albert -): *Les Manuscrits Hébreux du Désert de Juda*, Textes pour l'Histoire Sacrée choisis et présentés par Daniel-ROPS, Lib. Arthème FAYARD, Paris, 1955.

WALLENSTEIN (M. -): *Hymns from the Judean Scrolls*, Manchester, 1950.

WILSON (Edmund -): *The Scrolls from the Dead Sea*, (Revised and Enlarged from the New York, May, 1955), Oxford, 1955.

The Dead Sea Scrolls 1947-1969, Coll. «Fount paperbacks», England, Collins and Co Ltd Glasgow, 1969; W.H. Allen, London, 1969.

WRIGHT (G.E. -): *«Some Radio - carbon Dates»*, art. in *Bib. Arch.*, 1951, 31 f.

ZEITLIN (S.A. -): *«A Commentary on the Book of Habbakuk»*, art. in *Jewish Quarterly*, 1949, 235-247.

ثالثاً : أبرز المجلاّت التي عالجت الموضوع

Biblica

Biblical Archaeologist.

Bibliotheca Orientalis.

Bulletin of the American Schools of Oriental Researches.

Cahiers Sioniens.

Catholic Biblical Quarterly.

Ephemerides Theologicae Lovanienses.
Jewish Quarterly Review.
Vetus Testamentum.
Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft.
Le Monde de la Bible.
Journal of Biblical Literature.
Journal of Jewish Studies.
Nouvelle Revue Théologique.
Palestine Exploration Quarterly
Recherches de Sciences Religieuses.
Revue Biblique.
Revue des Études Juives.
Revue de l'Histoire des Religions.
Revue de Qumran.
Theologische Literaturzeitung.
Verbum Domini.

فهرس الرسوم والخرائط

صفحة

المطبعة البولسية

شارع القديس بولس - جونيه
ص.ب : ١٢٥ - جونيه (لبنان)
هاتف : ٩١١٥٦١-٩٣٣٠٥٢-٩٣١٦٩٩



DEUXIÈME EDITION
1990

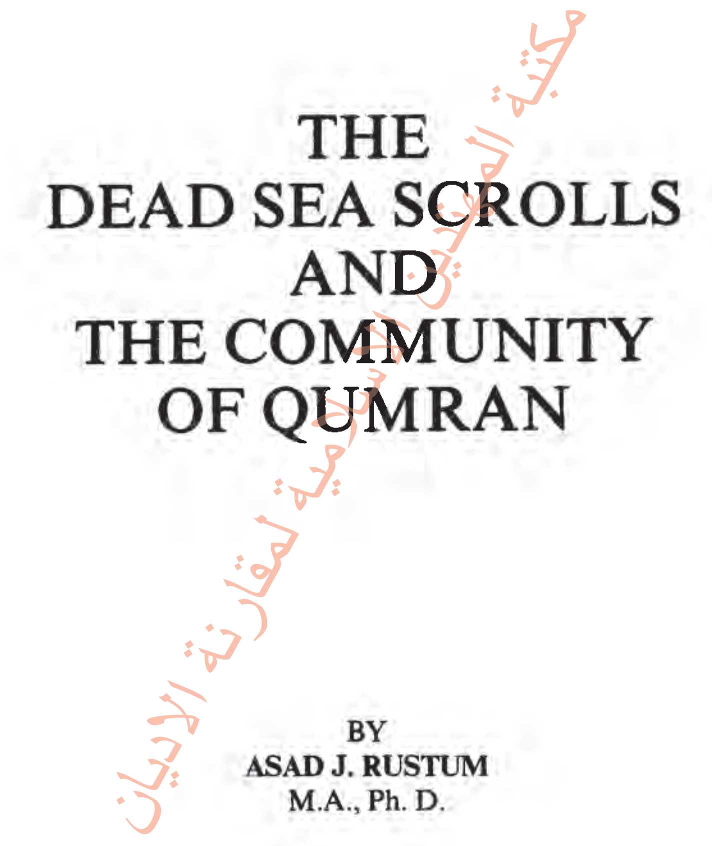
*

Editions de la LIBRAIRIE St. PAUL

* Beyrouth - Rue du Liban
B.P. 11 - 4459
Tél.: 444973 - 448806 - 449801

* Jounieh - Rue St. Paul
B.P. 125 (LIBAN)
Tél.: 911.561 - 933.052

ASAD
RUSTUM
26



THE DEAD SEA SCROLLS AND THE COMMUNITY OF QUMRAN

BY
ASAD J. RUSTUM
M.A., Ph. D.

EDITIONS ST. PAUL
BEYROUTH & JOUNIEH
(LIBAN)

ASAD
RUSTUM
26

THE DEAD SEA SCROLLS AND THE COMMUNITY OF QUMRAN

BY
ASAD J. RUSTUM
M.A., Ph. D.

EDITIONS ST. PAUL
BEYROUTH & JOUNIEH
(LIBAN)